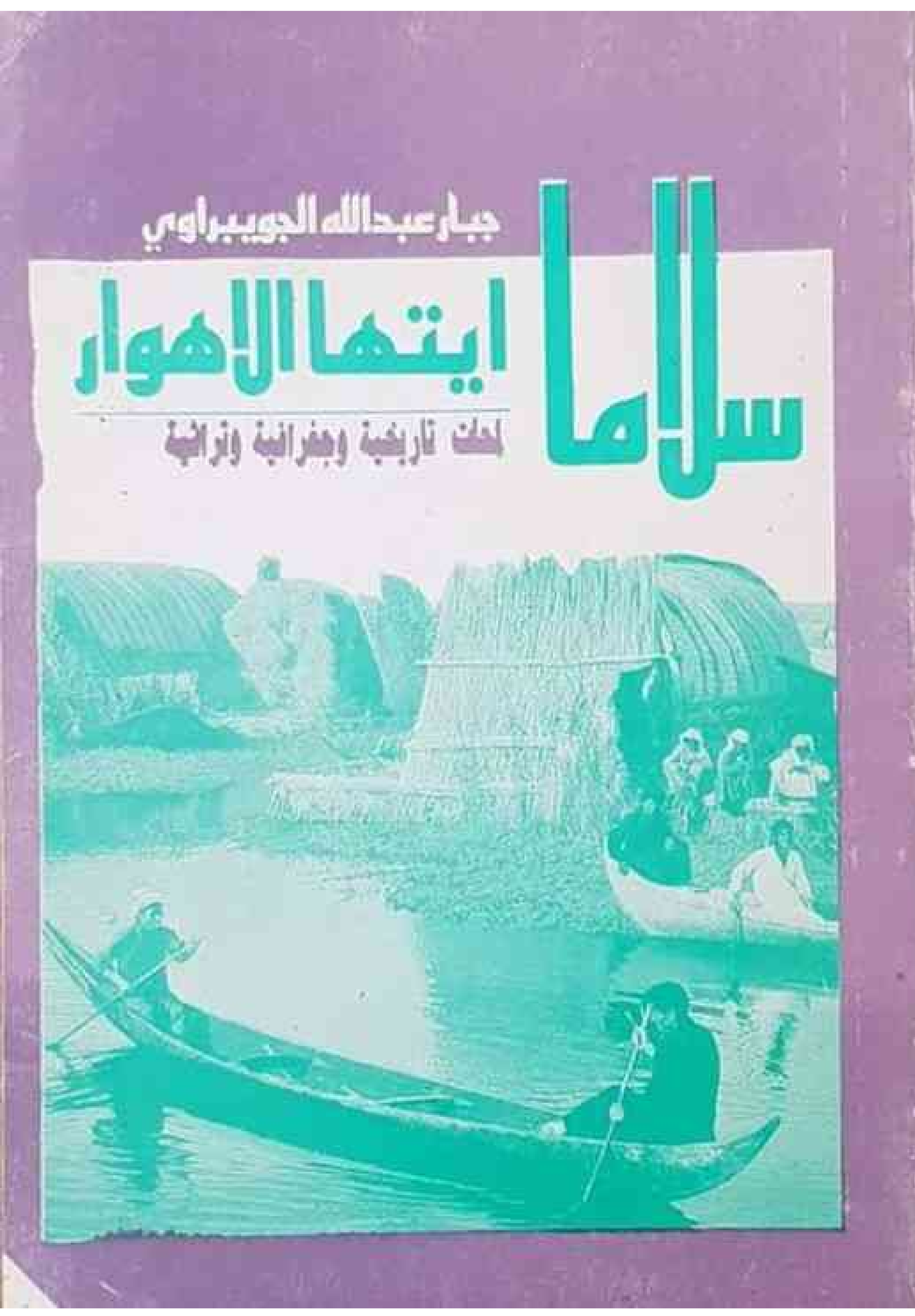

جبار عبد الله الجويبراوي
سلاما ايتها الاهوار
لمحة تاريخية وجغرافية وتراثية



وزارة الثقافة والاعلام



دار الشؤون الثقافية العامة

بغداد – ١٩٩٣

سلاما أيتها الأهوار

لمحات تاريخية وجغرافية وتراثية

تأليف

جبار عبدالله الجويبراوي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

كنت امتلك رغبة في كتابة المقدمة عن حياتي التي امضيتها في ربوع الأهوار التي استهوتني منذ الطفولة ... لكن ذاكرتي كانت تختزن شيئاً جميلاً ليكون مدخلاً لكتابي هذا .. وهو تعليق كُتب في احدى المجلات العربية في اواسط عام ١٩٧٨ عندما صدرت دراسة كافن يونك «العودة الى الاهوار» وكافن يونك هذا كان مراسلاً للاوبزرفر وقام بمهمة الكتابة من تلقاء نفسه فهو لم يكلف بها وانما جاء كتابه عملاً يعبر فيه عن الحب وشهادة على الشعور بالاحترام والود .

بالرغم من ان بعض ما جاء في الكتاب يبدو في ظاهره رومانسيا خفيفاً إلا ان كتاب « العودة الى الاهوار » لكافن يونك يعد بحق جزءاً من محاولة جديدة اكثر تفهماً للعرب باسلوب ممتع للعقل حتى وهي محصورة داخل ذلك الاطار من التسلية ..

ان الكتاب ليس دراسة قام بها استاذ في « الانثروبولوجيا » او تاريخ حياة الشعوب . فقد جاء اهتمام يونك بعرب الاهوار بصورة عارضة ثم تحول هذا الاهتمام الى مغامرة .

لقد خلا كتاب « يانك » من كل قيد اللهم إلا تلك الرغبة التي تملكته في ان يقدم عملاً طيباً لشيء طيب ، فجاء الكتاب خالياً من أي تحيز او رأي او ادعاء . ان سكان الاهوار اناس وجد فيهم الكاتب وبكل بساطة قوماً جديرين بالحب . حتى انه استطاع ان يدخل في حياتهم بالسهولة نفسها التي يدخل فيها بجسمه في سترته القديمة التي يحبها . وهو يعجب بمهارتهم كصيادين وبقوتهم وشجاعتهم وجمالهم . انه يحب روحهم الاجتماعية ودفء مشاعرهم حتى انهم اعطوه هذا الاحساس بأن لديه وطناً حقيقياً بينهم . وهو يحب بعد هدا تلذذهم واستمتاعهم بالحياة . ثم هو يحب روحهم الميالة الى الاستقلال الشديد وروحهم المرحة ويعجب ايضا بالتصاقهم بالطبيعة وبقدرتهم على تسمية كل نبات وكل حيوان في عالمهم المائي العجيب .

انه مبهور بمنظر تلك البحيرات الضحلة الهائلة التي يلفها الضباب وقنواتها الضيقة التي تجري مياهها وسط حقول القصب والطيور والحيوانات التي تعيش فيها وحولها . لقد اصبح صيد الخنازير البرية او البط يمثل جانباً اساسياً من نشاط سكان هذه المنطقة . ان الطريقة التي استقر بها عرب الاهوار في هذه البيئة غير العادية وقد شيدوا مساكنهم من عيدان القصب المنسوجة فوق تلك الجزر الاصطناعية معتمدين اعتمادا تاماً على حيواناتهم المائية وعلى مقايضتهم للسمك والحصران بالقمح .. هذه الصور سرته رؤيتها بفضل ماتميزت به من انسجام وغموض . ان قراهم الصغيرة لاتكاد ترى من الجو لأنها تبدو اقرب الى الجزر الطبيعية ولعل اوجه الشبه بين اسلوب حياة عرب الاهوار المعاصرين وابناء سومر القدامى تضفي مزيداً من الاهتمام الذي تأكد بمهارة في المقارنات التي وضحت في الصور الفوتغرافية لواجهة مبانيهم وشكل بيوتهم وقواربهم واساليبهم في صيد السمك بالفالات .

واذا كان الأصل في اهتمام « يانك » بالاهوار العربية رومانسياً فهي رومانسية تبدو وقد هذبتها عناية حقيقية بهذه المنطقة واهلها وهؤلاء ليسوا مجرد شخصيات اغريقية حديثة في ريف رائع غريب ولكنهم اناس حقيقيون يصابون بالامراض ويفقدون مواليدهم ويموتون . ان جزءاً كبير من رحلة يانك الاولى الى الاهوار بصحبة ولفريد ثيسجر امضياها في التطبيب والعلاج البدائي لعرب الأهوار . فهم رغم تميزهم بقوة أكثر من معظم اهل الريف في العراق إلا أنهم يعانون من الأمراض ...

وعندما عاد « يانك » بعد غيبة استغرقت سبعة عشر عاماً نجده يحدثنا عن الطبيب العراقي الذي وجده يعمل بمساعدة احدى الممرضات وعن العيادة الطبية التي قامت هناك وعن الشختورة (الزورق البخاري) وهو لون من التحضر يلقى ترحيباً من يانك في رحلته ... ثم هو يجد بعد هذا المدارس التي لم يكن لها اثر من قبل ويجد مستوى افضل من الغذاء والكساء ومصنعاً للسكر ومصنعاً لتجميد السمك .

وبالرغم من القلق الذي يحس به وهو يرى تلك البيوت الصغيرة الشبيهة بعلب الكبريت والمبنية بالاسمنت المسلح تحل محل المساكن المصنوعة من عيدان القصب ، وكيف ستتلاشى معها تلك المهارات التقليدية واسلوب الحياة

لعرب الاهوار إلا ان يانك يجد عزاءه عند عودته الى الاهوار في الواقع الثابت وهو ان الكثير بقي على حاله لم يتغير فكرم الضيافة القديم ودفء الصداقة الذي عرفه ما زال هناك .. ويدعوه صديق يعمل في مصنع السكر الجديد الى الذهاب معه في رحلة لصيد الطيور هو يرتدي بدلة العمل الزرقاء[1] وانا ادعوكم في رحلة لقراءة هذا السفر المتواضع الذي تكرم الاستاذ الفاضل كامل ساجت عزيز محافظ ميسان عندما كلفني بهذه المهمة الوطنية والتاريخية في كتابة هذا العرض الموجز للجغرافية التاريخية لأهوار جنوب العراق .

اشكر الله واحمده ، وإن أنسَ لا أنسَ ذكر الاستاذين طالب سهيل علي ورعد زهراو مطشر لما ابدوه لي من مساعدة ولله الحمد في الاولى والآخرة عليه توكلت واليه انيب .

جبار عبدالله الجويبراوي
ايلول ١٩٩٢

---

(١) روز ماري ـ مجلة العربي ـ العدد ٢٣٦ ـ تموز ١٩٧٨ .

دفاع عرب الأهوار
عن تربة العراق الطاهرة

« لقد عشنا نحن البريطانيين تجربة مرة وقاسية مع ابناء جنوب العراق خلال مدة الاحتلال البريطاني .. فكانت ثورة العشرين الكبرى والتأييد الذي حظيت به ثورة مايس ١٩٤١ أبلغ شاهد لحقيقة رفض الجنوبيين في العراق لأي وجود أجنبي مهما كان لونه او ستاره ولعل استخدام (المكوار) و (الفالة) في اصطياد القوات الاجنبية وقتلها وطردها ما زالت عالقة في اذهاننا وراسخة في افكارنا » .

حديث مؤرخ انكليزي في التلفزيون الفرنسي
برنامج نافذة على العالم
جريدة الثورة ٨٠٢٢ في ٢٨ / ٨ / ١٩٩٢

الرحلة الى عالم الأهوار تمثل طوفاناً حقيقياً لغسل الروح وتنقية النفس من ادرانها. فلو رجعنا الى ملحمة كلكامش لوجدنا انها ملحمةمائية نبعت من الهور للبحث عن سر خلود الحياة . فمياه الأهوار تنساب فيها الطيبة والسهولة والنخوة وعطر القهوة العربية الاصيلة . فعلى سطوح مياه الهور نقشت الاساطير والميثولوجيا ومعالم الانسان السومري وعبق الحكايات الشعبية الاسطورية . فترى القصب وهو شامخ في وسط الهور يتحدى العصور برغم كل الاعاصير والفيضانات وترى الرجال وعلامات التحدي منقوشة في جباههم فهم يكدحون ويناضلون برغم كل الظروف . والجماهير التي استقبلت البعثات الاعلامية الاجنبية بالهتاف والتحدي مثلت اصالة عرب الاهوار فهذا رجل « شكّل » دشداشته في نطاقه وحمل المگوار في يمينه ونزل الى اعماق الماء وهو يهتف بكل قوته .. لا للمستعمر ... لا للطامع ..

وتلك امرأة « لطخت » شيلتها بالماء والطين المداف بحب الارض والتمسك بجذور الوطن وهي تتحدى الكاميرات باهزوجتها الخالدة « يا گاعي اترابچ كافوري » .

انها فعلًا لوحات انسانية بانورامية درامية عفوية تمثل اصالة عرب الأهوار وجذورهم التي لا يمكن ان تنفصل عن اصولها فهم يعبّرون بذلك على ان الهور ليس مساحة جغرافية بقدر ما هو اضافة نوعية كبيرة للوطن الكبير للحياة المنشودة[1] .

ولغرض التعرف على اصالة عرب الأهوار ودورهم في الدفاع عن وجودهم واصالتهم نذكر مثالًا على انتفاضة القبائل العربية على الحكم العثماني في منطقة الاهوار خلال القرن السادس عشر .

في عام ٩٤١ هـ / ١٥٣٤ م احتل العثمانيون بغداد ومن ثم امتد نفوذهم الى البصرة عام ٩٤٥ هـ/١٥٤٦ م . وكان هذا التوسع جزءاً من سياسة العثمانيين الهادفة الى السيطرة على مناطق عديدة في الوطن العربي ومن بينها العراق . إلا أن جهودهم هذه جوبهت بمقاومة عنيفة من القبائل العربية في منطقة الاهوار (جنوب العراق) وذلك لتمتع هذه المنطقة بظروف جغرافية وطبيعية حالت دون تمكين العثمانيين من فرض سيطرتهم عليها .

لقد كانت نشاطات القبائل العربية ضد العثمانيين في منطقة الاهوار (وهي تشمل منطقة الاهوار والمستنقعات الواسعة في مجرى الفرات ودجلة الجنوبي بين الكوفة وواسط في الشمال والبصرة في الجنوب) لقد اصبحت هذه المنطقة بمرور الزمن مكاناً تستوطنه العديد من القبائل العربية التي تمكنت من مقاومة الجيوش الغازية بنجاح في النصف الثاني من القرن السادس عشر .

والأهم من ذلك كله ان هذه القبائل اعتادت ان تتمتع بقدر كبير من السيطرة الفعالة على منطقة الاهوار . لذلك وجه العثمانيون حملاتهم العديدة ضد هذه القبائل وكثيراً ما تطلّب الأمر منهم إرسال قوات عسكرية من بغداد لاخضاعها او تجميع قوات اضافية من الولايات العثمانية الاخرى تحقيقاً للغرض نفسه لكنهم واجهوا منذ الايام الأولى لوصولهم مقاومة عنيفة من قبل عرب الاهوار الشجعان الامر الذي جعلهم يحسبون لهذه القوة حسابها يتضح

---

(١) جمال محمد الاسدي ـ جريدة الثورة ـ العدد ٨٠٢٩ في ٧ / ٩ / ١٩٩٢ ـ الصفحة السابعة .

ذلك من قيامهم بتوجيه عدة حملات عسكريه نحو الاهوار . وكانت النتيجة المتوقعة لمقاومة عرب الاهوار ان اصبح هدف العثمانيين منصباً على تحطيم قوة القبائل العربية هناك واخضاعها بشكل نهائي للسيطرة العثمانية . لكن جهد العثمانيين هذا قد جوبه بهجمات القبائل العراقية التي اصبحت قوية لدرجة انها داهمت الحاميات العثمانية مرات متكررة وجعلت العثمانيين غير قادرين على استخدام الطرق بين بغداد والبصرة لوقوعها تحت سيطرة عرب الاهوار ابناء العراق النشامى .

وهذا وصف ممتع لمحاصرة القبائل العراقية للقوات العثمانية الغازية عام ٩٧٤ هـ / ١٥٦٦ م .

« وكانت القوارب المصنوعة من جذوع النخيل تنزل في الأنهار وهي محصنة بجذع النخيل والقصب وعلى الرغم من انها كانت تُرشق من قبل الحاميات العثمانية إلا ان القذائف لم يكن لها إلا تأثير قليل على الاخشاب الطرية .. وان القوارب نفسها كانت تحرق من قبل افراد القبائل العربية في الاهوار ثم توجه باتجاه القلاع بينما يفر طاقمها سباحة فيؤدي ذلك الى اختناق افراد الحاميات العثمانية من جراء الدخان المتصاعد منها . كما انهم كانوا عاجزين عن اطفائه نظراً لأن القوات البرية لعرب الاهوار كانت مختفية من وابل النيران وتتصيد كل من كان يظهر للعيان »[٢] .

لقد سجلت صفحات التاريخ بمداد من نور ، المواقف الوطنية على امتداد اربعة قرون من حكم العثمانيين واكثر من ربع قرن من السيطرة البريطانية وقد توجت تلك المواقف بثورة العشرين الخالدة التي اشعل فتيل الثورة فيها رجال الفرات النشامى وشملت كل مدن العراق فيما بعد .

وعلى الرغم من قساوة الاعداء وتفوقهم بالعدة والعدد فقد كانت لأبناء العراق مواقف بطولية متميزة على مستوى الافراد والرؤساء والعشائر . في وقت كانت فيه القبائل تشكل الغالبية العظمى من سكان العراق .

ففي السماوة ـ محافظة المثنى اليوم ـ استنهضت عشائر بني حجيم

---

(٢) الدكتور طارق نافع الحمداني ـ مجلة المعلم الجديد ـ جـ ٣ ، ٤ ـ المجلد ٤٦ ـ ص ١٨ ـ ٢٣ كانون الاول ١٩٨٩ .

ابناءها جميعاً ليصمدوا وينتصروا لكل ذرة تراب وطني حاول الاعداء تدنيسها فكان ردهم العظيم هو الهجوم على القطارات المدرعة والاجهاز على الجيوش الزاحفة نحو الوطن المفدى .

وكان يتقدم الجموع الثائرة الشيوخ شعلان ابو الجون ورحوم الظالمي وغثيث الحرجان وعزارة المعجون ومنديل الجعاري والحاج عجة الدلي ومحمد العكيرب والسادة الاميال وعشيرة الخزاعل .

وهكذا استرخص ابناء السماوة الشرفاء ارواحهم فداءً للوطن الذي احتضنهم وتربّوا في ربوعه فكانت بداية ملحمة الخلود التي كان لأبناء الديوانية ـ محافظة القادسية اليوم ـ شرف الاسهام فيها **فائتلقت في** ذاكرة التاريخ اسماء عشائرهم والتي كانت مثالا رائعاً للبطولة والتضحية حينما عاهدوا الله والوطن على البقاء جنوداً اوفياء للذود عن ثرى العراق الطاهر .

وكان يتقدم الرعيل الاول شيوخ آل فتلة والحميدات والعوابد وآل زياد والخزاعل وعشيرة الكرد وعفج والاكرع والسعيد وبني عارض الذين استشهد منهم اكثر من ألف شهيد .

وكانت قبائل مدينة الناصرية ـ محافظة ذي قار اليوم ـ كثيرة العدد والعدد وقد قاومت الاحتلال العثماني مقاومة عنيفة كما انها بذلت مجهوداً كبيراً خلال الحرب العالمية الاولى سواء باشتراكها في حركة الجهاد بالشعبية او في صدها الجيوش الانكليزية الزاحفة نحو مدن الفرات الأخرى .

ففي سوق الشيوخ كانت عشائر حجام والنواشي وآل جويبر والعساكر وآل ابراهيم من اشد العشائر عداء للعثمانيين والانكليز على السواء وكان افراد تلك القبائل يشنون الهجمات على السفن الحربية العثمانية والانكليزية ويقطعون اسلاك البرق باستمرار وعند نشوب ثورة العشرين اشتركت جماعات كثيرة منهم في صفوف المجاهدين .

وفي مدينة الشطرة برزت عشائر بني ركاب وبني زيد وخفاجة وقد تعرضت منازل تلك العشائر الى القصف العشوائي من الطائرات المعادية ولم تثنهم عن مواصلة الجهاد .

ولم يكن امراً جديداً او حالة استثنائية ان تسجل عشائر العراق ذلك الدور الوطني المشهود في المنازلة الكبرى ـ ام المعارك ـ وما شهدته من

نماذج مشرقة جسدت في الميدان حالة من الوعي اقترن بفعل نضالي متقدم اضاف ثقلًا ملموساً الى جانب قوى الثورة في اكثر الاوقات والظروف دقة وحراجة ـ وبما افضى الى حسم النتائج بوقت قياسي .

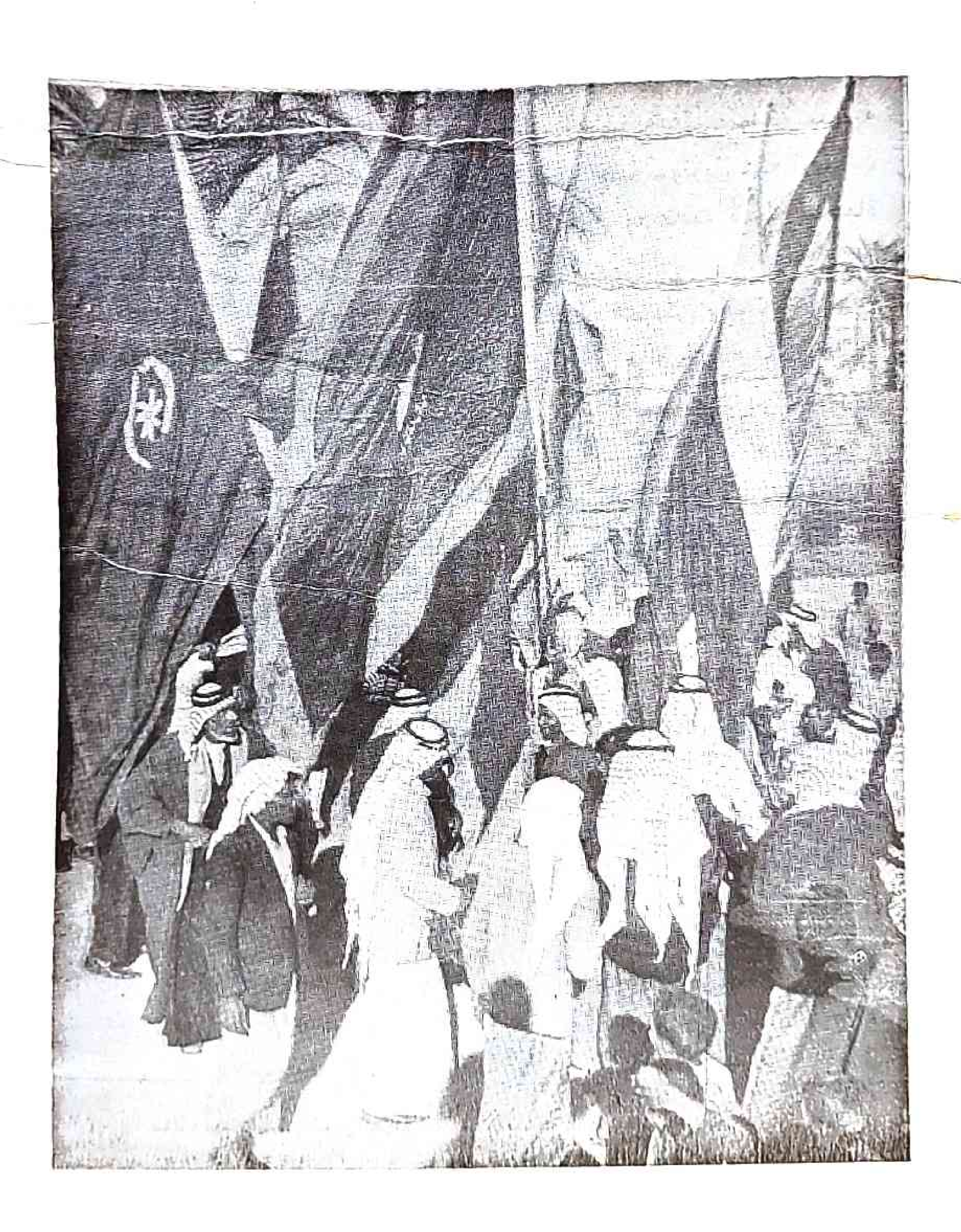
وفي ظل التجربة الثورية والمنهج الثوري الاصيل الذي طبقته قيادة الثورة اصبح التنظيم الاجتماعي لعشائر العراق يرتكز على موازنة مبدئية تحكم صلته بحركة الثورة واهدافها وتطلعاتها من جهة ـ وتزيل عنه ترسبات الماضي ومجموعة القيم والتقاليد المتخلفة التي ما عادت تصلح للحياة الجديدة من جهة اخرى .

وكان من ابرز النتائج الايجابية لهذا المنهج المبدئي والمتوازن الذي طبقته القيادة تأمين استمرارية اداء العشائر العراقية لدورها الوطني وحضورها في الميدان بوصفها قوة مهمة تشكل رافداً حيوياً يصب في المجرى العام للثورة .

لقد سارعت عشائر العراق الى الاصطفاف في الخندق الوطني دون تردد وبعفوية صادقة واعلنت ولاءها وحبها ووقوفها خلف القيادة الحكيمة للسيد الرئيس القائد صدام حسين (حفظه الله) معاهدة سيادته على البقاء سيوفاً مشرعة خلف راية الله اكبر دفاعاً عن الوطن وترابه المقدس . وبذلك سجلت لنفسها وللوطن مأثرة جديدة في ظروف واوضاع نعرف جميعاً كم كانت درجة خطورتها ودقتها ... انه شرف الانتماء للوطن والشعب وقيم الرجولة والوفاء[٣] .

---

(٣) مالك منصور ـ عشائر العراق وشرف الانتماء للوطن والمبادىء ـ جريدة الثورة ٢١ / ١ / ١٩٩٢ .



الأهوار لغة واصطلاحاً

الهور وجمعه الأهوار اصطلاح شاع استعماله في العراق للدلالة على البحيرة الواسعة الانتشار وتكون عادة ضحلة قليلة الغور في اكثر اماكنها وتسودها المستنقعات والأحراش المائية المكونة من القصب والبردي في الغالب[١] .

وقد أشار ياقوت الحموي الى لفظة الهور في كتابه معجم البلدان بقوله « الهور بحيرة يفيض فيها ماء غياض وآجام تتسع ويكثر ماؤها »[٢] .

كما انها وردت في موضع آخر من معجمه مشيراً الى « جُرجين » وهو موضع بالبطيحة بين البصرة وواسط صعب المسلك واليه ينُسب الهور المتّقى سلوكه لعظم الخطر فيه ان هبّت ادنى ريح »[٣] .

ويرى الدكتور جاسم محمد خلف ان « الاهوار تطلق على الاراضي المنخفضة التي تغطيها المياه سواء في جميع ايام السنة او في بعضها ولا يوجد فرق واضح بين الأهوار والمستنقعات » .

ويرى الدكتور ابراهيم شريف « ان تسمية الهور عامة وتطلق على كل مناطق المستنقعات في السهل الفيضي في العراق ولكنها تطلق ايضا « اطلاقاً خاصاً » على المناطق الضحلة منها وهي التي ينمو فيها القصب (الغاب والبوص) والبردي (الحلفا) وغيرهما من نباتات المستنقعات »[٤] .

ويتفق كل من الدكتور جميل سعيد والدكتور ابراهيم شريف في تعريفهما للاهوار بأنها تسمية عامة تطلق على المنخفضات التي تغمرها المياه بعمق قليل يسمح بنمو القصب والبردي . اما المنخفضات المكشوفة ذات المياه

---

(١) الدكتور احمد سوسة ـ تاريخ حضارة وادي الرافدين ـ الجزء الاول ـ ص ٤٠٧ .

(٢) ياقوت الحموي ـ معجم البلدان ـ المجلد الثامن ـ ص ٤٨٥ .

(٣) ياقوت الحموي ـ المصدر السابق ـ المجلد الثامن ـ ص ٨١ .

(٤) الدكتور حسن الخياط ـ جغرافية اهوار ومستنقعات جنوبي العراق ـ القاهرة ـ ١٩٧٥ .

العميقة نسبياً فيطلق السكان عليها تسمية بَزكة او بركة .

والاهوار كما هي معروفة مناطق منخفضة من اراضي السهل الفيضي يغمرها الماء بعمق قليل . ومنها ما يبقى مغموراً به طول السنة ومنها ما يجف كله او بعضه في فصل الصيف . وباعتبار السهول الفيضية في العالم بصورة عامة توجد الاهوار عادة في المناطق الدلتاوية عند مصبات الانهار في البحار وتفسر اسبابها بأن مثل هذه المناطق تكون مقتطعة حديثاً من شواطىء البحار ولم يكمل ملؤها بعد بالرواسب التي تنقلها الأنهار سنوياً في اوقات فيضاناتها . وذلك فضلًا عما هو معروف عن تأثير الامواج وعن ان الانهار هناك تكون في حالة بدائية .

وباعتبار السهل الفيضي في العراق فان ظاهرة الاهوار فيه تبدو بصورة شاذة وذلك اولًا لأنها لا توجد عند مصب شط العرب في الخليج . وثانياً لأن وجودها لا يقتصر على القسم الاسفل منه وانما توجد ايضا في قسميه الاوسط منهما والاعلى كما توجد في شرق نهر دجلة وفي غرب نهر الفرات وفيما بينهما من اراض[٥] .

ويطلق عرب جنوب العراق على المستنقعات (Marshes) اسم هور وهو تعبير جامع يدل على مساحة المستنقعات الدائمية والموسمية والمياه الفائضة ومنابت البردي ايضا . ويطلقون على البركة (Lagoon) اسم البَزكة[٦] .

اما لفظة البطائح فقد اطلقها الجغرافيون العرب خلال الحقبة العباسية على المستنقعات الواقعة في القسم الاسفل من الفرات بين الكوفة وواسط شمالًا والبصرة جنوباً .

وهي تشمل بطائح البصرة وبطائح الكوفة وبطائح واسط .

وقد تناولت المعجمات اللغوية العربية معنى هذه الكلمة فأرجعت اصلها اللغوي الى كلمة تبطح حيث يتبطح السيل اذا اتسع في البطحاء وللبطحية والبطحاء معنى واحد ويسمى المكان ابطح لأن الماء يتبطح فيه اي يذهب

---

(٥) فلانين ـ الحاج ركان ـ عرب الاهوار ـ ص ١٩ ـ ٢٠ .

(٦) ولفرد تسيكر ـ المعدان او سكان الاهوار ص ٧ .

يميناً وشمالاً والبطح هو الانبساط ، وبه سميت البطحة لانبساطها على وجه الارض وتبطح السيل اذا اتسع في الأرض[٧] .

وقد ورد ذكر البطائح في الكتابات المسمارية في لفظة (اكامي) او أجمة (Agamngm's) ومعناها البطائح وكلمة (ابراته) (Apparate) (البردي او ارض القصب) ومعناها (اقليم القصب) نظراً لما يسود البطيحة من منابته .

وجاء وصف البطائح البابلية في لوحة (Peutingeriana) وذكرت الى جانب كلمة (Paludes) كلمة (Diotahi) ديوتاهي وهي من المحتمل جداً ان تكون محرفة او قريبة من لفظة بيوتاهي (Biotahi) اي البطائح[٨] .

ان وجود كلمة أجمة (Agamngm'e) في وثائق البردى ووجود مصطلح (Apparate) (البردي او ارض القصب) اللذين ذكرناهما قبل قليل برجحان رجوع هذين المصطلحين الى المدة التي سبقت طور العبيد (٤٥٠٠ ـ ٣٨٠٠ ق.م) اذ عاش انسان العبيد واستقر قرب الاهوار وحول الأنهار في السهل الرسوبي بين رأس الخليج العربي جنوباً وهيت وسامراء شمالاً في اكواخ من القصب والبردي . فانتشرت مستوطنات زراعية كثيرة على ضفاف الانهار ومصباتها وعند العيون والينابيع مثل اور والوركاء .

وقد اشار الجغرافيون العرب الى عدد من أجمات القصب كانت موجودة في الفرات الاوسط والقسم الجنوبي من العراق[٩] .

فالحلة والجامعيين مدينتان ـ في الفرات الاوسط ـ كانتا اجام تأوي

---

(٧) ابراهيم جدوع محسن ـ امارة البطائح العربية (اطروحة ماجستير غير مطبوعة ـ جامعة البصرة ـ ١٩٨٦ م ص ٢٥) .

(٨) انظر :

(١) ابراهيم جدوع ـ امارة البطائح العربية ـ ص ٢٧ .

(٢) ماجد السيد ولي ـ هور الحويزة (اطروحة ماجستير غير مطبوعة ـ بغداد ١٩٦٧ ـ ص ١٠) .

(٣) الدكتور سامي سعيد الاحمد ـ مجلة التراث الشعبي ـ العدد الفصلي الرابع ـ خريف ١٩٨٧ .

(٩) ابراهيم جدوع ـ مصدر سابق ـ ص ٢٦ ، ٢٧ .

اليهما السباع[10] .

وذكر الحموي في معجمه الأجمة والاجام في وصف آجام البريد قائلاً ارض فيها ماء واقف متجمع فيه وحل مركب من طين وفضلات متغيرة كثيراً او قليلاً ومنها نباتات وحيوانات حية تستنقع فضلاتها في تلك المياه فتنتنها[11] .

وذكر اصحاب السير انه كان بكسكر قبل خراب البطيحة نهر يقال له الجنب وكان عليه طريق البريد الى ميسان ودستميسان والأهوار في جنبه القبلي فلما تبطحت البطائح . سمي ماأستأجم من طريق البريد اجام البريد . والاجام جمع اجمة وهو منبت القصب الملتف[12] .

نشأة الأهوار وتكوينها

لقد استأثرت الدراسات الآثارية والحضارية المتعلقة بجغرافية حوض الخليج العربي وسهل العراق الجنوبي باهتمام الباحثين لما لها من صلة وثيقة بأقدم حضارة بشرية معروفة حتى الآن . تلك الحضارة التي نشأت وازدهرت في هذا السهل من جنوبي العراق المعروف بالمنطقة الرسوبية الدلتاوية . وقد اختلفت الآراء في كيفية تكوين هذا السهل وعلاقته بالخليج العربي فقد كان الاعتقاد السائد بين الباحثين والمؤرخين حتى وقت قريب ان ساحل الخليج العربي كان قد اتخذ له قبل سنة ٤٠٠٠ ق .م . شاطئاً طبيعياً عند بلدة هيت على نهر الفرات وعند سامراء على نهر دجلة . وان ارض جنوبي العراق التي تمتد من هيت وسامراء الى ساحل الخليج الحالي كانت مغمورة آنذاك بمياه البحر . ثم أخذ الساحل يتقدم جنوباً على اثر تراكم الغرين الذي تجلبه مياه

---

(١٠) الدكتور صباح محمود محمد ـ دراسات في التراث الجغرافي العربي ـ ص ١٨٠ .

(١١) الحموي ـ معجم البلدان ـ المجلد التاسع .

(١٢) الحموي ـ المصدر السابق ـ المجلد الاول ـ ص ٥٤ .

النهرين دجلة والفرات في الفيضانات المتتالية فتحول بحر هذه المنطقة الى أرض يابسة حتى وصل الساحل الى حده الحالي في الجنوب . وفي مقدمة الذين أخذوا بهذه النظرية وأكدوها الخبير الآثاري المستر سيتون لويد مؤلف كتاب « الرافدان » واذا سلمنا بهذا الرأي يكون ساحل الخليج قد تقدم جنوباً بما يساوي ٦٨٠ كيلومتراً وهي المسافة على طول نهر الفرات بين هيت وساحل الخليج الحالي في الجنوب . هذا في حين اننا نعلم ان حضارة العبيد الواقعة قرب « أريدو » ظهرت قبل الألف الخامس قبل الميلاد . فكيف اذن يكون التوفيق بين كون ساحل الخليج في الالف الرابع قبل الميلاد عند مدينة هيت وبين كونه في الوقت نفسه في جنوبي هيت على مسافة ٦٨٠ كيلومتراً منها .. ان ذلك الأمر مستحيل الوقوع . وعلى الرغم من كل ذلك ظلت نظرية تقدم ساحل الخليج مقبولة عند الباحثين واستمر هذا الجدال حتى نشر الاستاذان الجيولوجيان ليس وفالكون مقالاً سنة ١٩٥٢ في المجلة الجغرافية البريطانية اعلمانا فيه انه لا يوجد اي دليل تاريخي على ان رأس الخليج كان يوماً ما بعيداً عن حده الحالي وان أنهر دجلة والفرات وكارون لم تعمل على بناء دلتا تتقدم الى الامام بل كل ما في الأمر انها تقوم بتفريغ حمولتها من الراسبات الغرينية في منخفضات القسم الجنوبي من السهل الرسوبي . وان الحوض الذي يحتله هذا القسم قد انخفض وما يزال مستمراً في الانخفاض بسبب ثقل الترسبات وبسبب تحركات باطنية (تكتونية) اعقبها انحناء محدب أدى الى ابتلاع باطن الارض مئات الالاف من الأقدام المكعبة من الراسبات الغرينية التي تصل الى الحوض سنوياً دون ان يزول الماء من فوق الأرض . وقد ذهبا الى ان هناك توازناً بين نسبة الهبوط وبين الكميات الغرينية التي ترسب في الحوض الأمر الذي جعل المنطقة تحافظ على وضعها الطبيعي دون ان يحدث اي تغيير في مظهرها . وعلى هذا الاساس فهما يفيدان ان منطقة الأهوار الحالية في جنوبي العراق ومن ضمنها رأس الخليج الحالي كان في العصور القديمة ارضاً يابسة وان الهبوط الحاصل نتيجة للتحركات (التكتونية) قد غطى اطلال المدن والقرى التي كانت قائمة في تلك العصور بمياه الأهوار ومياه الخليج الساحلية . وقد لاقت نظرية « ليس وفالكون » هذه القائلة بحدوث هبوط مستمر في ارض جنوبي العراق نتيجة

لتحركات باطنية تكتونية متواصلة منذ أقدم العصور حتى يومنا هذا تأييداً من الخبراء الجيولوجيين وغيرهم من الباحثين واهم الأدلة التي استندوا اليها في دعم نظرية « ليس وفالكون » تلخص بما يأتي :

أ - ان مدينة « أريدو » الواقعة في جنوبي العراق والتي تعد أقدم مدينة على جنوب العراق كانت قائمة في اوائل الألف الخامس قبل الميلاد ، كما عثر بين اطلال تل العبيد على بقايا بعض المعابد التي ترجع الى اوائل الألف الخامس قبل الميلاد ذلك ما يدل على ان منطقة « أريدو » لم تكن مغمورة بمياه الخليج في تلك الازمان القديمة كما كان يعتقد .

ب - ان السومريين الاوائل عندما نزحوا الى جنوبي العراق او عندما وجدوا في هذه المنطقة في العصور التاريخية (عصور فجر السلالات) كانت المنطقة ارضاً يابسة وان ساحل الخليج لم يكن على غير ما هو عليه اليوم .

ج - دلت الفحوص الدقيقة التي اجريت لتربة هذه المنطقة على انه لا يوجد اي اثر لأصداف ماء البحر فيها .

د - ان ارض هور الحمار الحالي كانت قبل اكثر من ١٣٠٠عام تزرع كأرض يابسة ثم طغى الرافدان في حوالى ٦٢٩ م طغياناً هائلًا لم يسبق له مثيل خرب السدود ومشاريع الري وسبب تحول الأنهر عن مجاريها الاصلية فانقلبت المناطق الجنوبية الى مستنقعات واهوار واسعة تمتد بسعتها كالبحر وصارت تعرف هذه الاهوار الواسعة باسم البطائح وقد وصفها المؤرخون العرب وصفاً مسهباً ورسموها على خارطاتهم ... ويلاحظ ان منطقة الاهوار هذه ما زالت على وضعها حتى يومنا هذا رغم وصول مئات الآلاف من الاطنان من الراسبات الغرينية اليها كل عام خلال مدة آلاف السنين الماضية . ذلك ما يدعم النظرية القائلة باستمرار الهبوط الباطني (التكتوني) في حوض هذا السهل المنخفض الذي يسمح باستمرار عملية الارساب السنوية دون ان يؤدي ذلك الى ارتفاع الحوض فوق سطح البحر .

هـ - اكتشفت آثار عمران قديم في قلب هور الحمّار الامر الذي يؤيد ان هذه

المنطقة لم تكن مغمورة بمياه البحر في تلك العصور القديمة بل كانت ارضاً يابسة .

و ـ ورد في المدونات السومرية ان أحد ملوك سومر قام في اواخر الالف الثالث قبل الميلاد بشق جدول من ساحل الخليج الى بلدة أور لمساعدة السفن القادمة الى الخليج على الوصول الى بلدة اور . وهذا يدل على ان رأس الخليج في اواخر الألف الثالث قبل الميلاد بعيداً عن بلدة اور .

ز ـ ورد في المدونات السومرية ايضا ان السومريين قاموا باستصلاح بعض اراضي الاهوار في جوار بلدة اور وهذا يدل على ان المنطقة التي تكون بعض هور الحمار حالياً كانت مستنقعاً ذا مياه عذبة في ذلك الوقت كما هي الحال الآن على الرغم من وجود المد والجزر وهذا دليل آخر على ان ساحل الخليج كان بعيداً عن مدينة اور تلك الازمان .

ح ـ ان مجرى نهر الفرات القديم بين بلدة أور ومصبه في الخليج عند خور الزبير ما تزال آثاره ظاهرة تخرق قسماً من أرض هور الحمار وذلك يدل على أن النهر كان يمر في ارض يابسة في هذا القسم في الازمنة القديمة .

ط ـ ان الآبار التي حفرت في منطقة البصرة للبحث عن النفط كشفت في نهر عمر الذي يقع على بعد عشرين ميلًا شمال غربي البصرة عن تجمع عمق كبير من الطين والرمال الرسوبية وفي اسفلها اعراض الماء العذب لا أصداف ماء البحر .

وقد أجرى الخبير الجيولوجي راول ميجل تحريات جيولوجية في منخفض الثرثار وبحيرة الحبانية وبحيرة ابي دبس وبحر النجف واستخلص من تحرياته هذه ما يؤيد رأي (ليس وفالكون) حول الهبوط التكتوني المستمر في السهل الرسوبي ويستنتج من دراسته انه كان في الازمنة القديمة مجرى واسع لمصرف طويل يبدأ من غربي دجلة فيمتد عبر منخفض الثرثار الى الفرات فبحيرة الحبانية ومن ثم يتصل بمنخفضات المجرة وبحيرة ابي دبس سالكاً طريق (طار السيد) حتى يتصل بمنخفضات النجف المعروفة ببحر النجف ؛ ويرى هذا الخبير ان التحركات التكتونية الأخيرة التي حدثت في هذه المنطقة والتي ادت الى تغيير وجهها بانفصال المنخفضات بعضها

عن بعض وارتفاع ضفافها دليل على استمرار التحركات التكتوينة العمومية في السهول الدلتاوية الهابطة .

وآخر ما وصل الينا من دراسات تتعلق بجغرافية حوض الخليج العربي هي الدراسة التي اجرتها عام ١٩٦٤ بعثة جيولوجية من المانيا الاتحادية ضمن مناهج البحث في اعماق البحار فقامت هذه البعثة بدراسات تتصل بجيولوجية الخليج العربي . وكانت النتائج التي توصلت اليها في دراستها لقاع الخليج العربي ولا سيما للبيئة المناخية القديمة لهذه المنطقة وتأثيرها في الاستيطان بالقسم الجنوبي من العراق كما يأتي .

اولًا ـ لقد كان الخليج العربي في ما يقرب من العام ١٦٠٠٠ ق.م وادياً جافاً ثم أخذ الخليج يمتلىء في خلال المدة من ١٣٠٠٠ ق.م الى ٤٣٠٠ ق.م وذلك نتيجة عملية الذوبان التي حدثت بعد العصر الجليدي الأخير ففي نحو ١٢٠٠٠ ق.م الى ٤٣٠٠ ق . م وذلك نتيجة عملية الذوبان التي حدثت بعد العصر الجليدي الأخير . ففي نحو ١٢٠٠٠ق.م كان مستوى البحر يقع تحت المستوى الحالي بـ ١١٠ أمتار .

ثانياً ـ لقد حدث في حوالي ٥٥٠٠ ق.م تغير فجائي في المناخ حيث تبدل الى مناخ رطب واستمر هذا الطقس الرطب البارد حتى حوالي ٣٥٠٠ ق. م . ومن الممكن ان ذلك كان نتيجة حدوث فيضانات عالية بصورة متواصلة في خلال هذه المدة بحيث كاد الاستيطان في جنوبي بلاد ما بين النهرين يكون متعذراً . وتشير نتائج الابحاث الى ان مستوى سطح البحر ارتفع في خلال هذه المدة الى حوالي ثلاثة امتار اعلى من مستواه الحالي بحيث اصبحت هذه المنطقة من جنوبي العراق مغطاة بمياه المحيط الى منطقة اور .

ثالثاً ـ وفي ٣٥٠٠ ق.م حدث تغير فجائي في المناخ جعل المنطقة صالحة للاستيطان حيث تناقص مستوى سطح البحر مرة اخرى الى المستوى الحالي .

وهكذا نستخلص من هذه النتائج التي توصلت اليها دراسة البعثة

الالمانية الاتحادية ان النصف الاول من الألف الرابع قبل الميلاد كانت له اهمية كبيرة في جنوبي بلاد ما بين النهرين وذلك يرجع الى العاملين الآتيين :

١ ـ تناقص مستوى سطح البحر لأول مرة .

٢ ـ تبدل المناخ الى مناخ اكثر اعتدالاً .

فكان هذا العاملان مشجعين لهجرة السومريين حيث ظهرت ارض خصبة جداً في السهل الجنوبي . ارض لم تعد معرضة كالسابق لخطر الفيضان(١)(*)(**) .

والملاحظ على الأهوار انها تمتد على سطح السهل الجنوبي بثلاثة نطاقات هي :

١ ـ نطاق الأهوار الشرقية على نهر دجلة وتشتمل على :

أ ـ الأهوار الواقعة على الجانب الأيسر من النهر وهي من الشمال الى الجنوب : اهوار جصان ، الشويجة ، السروط ، السناف ، الجكة ، والحويزة .

ب ـ الأهوار الواقعة على الجانب الأيمن لنهر دجلة وهي من الشمال الى الجنوب : هور ام البرم ، هور المصندك ، السعدية ، الدويمة ، عودة والصحين .

---

(١) الدكتور احمد سوسة ـ تاريخ حضارة وادي الرافدين ـ الجزء الاول ـ بغداد ـ ١٩٨٣ . ص ٨٤ ـ ٨٧ .

(*) للمزيد من المعلومات انظر : طه باقر ـ مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ـ ص ٢٠ .

أ ـ ماجد السيد ولي ـ هور الحويزة ـ ص ١ وما بعدها .

ب ـ ابراهيم جدوع محسن ـ امارة البطائح ـ ص ٢٤ وما بعدها .

جـ ـ الدكتور حسن الخياط ـ جغرافية اهوار ومستنقعات جنوبي العراق ـ ص ٤١ ـ ٥١ .

(**) ان التنقيبات التي اجرتها دائرة الآثار العراقية خلال الاعوام ١٩٤٧ ـ ١٩٤٩ في موقع اريدو والزقورة والوركاء كانت اكبر اضافة مهمة لعلم ما قبل التاريخ لبلاد ما بين النهرين . اذ انها وسعت بشكل كبير السلسلة الزمنية للسكنى في الجنوب وتتناسب تماماً مع نظرية ليس وفالكون وتثبت في الوقت نفسه خطأ الافتراض التقليدي بأن المنطقة كانت تحت مياه الخليج حتى الالف الخامس قبل الميلاد .

ديفيد وجوان اوتيس ـ نشوء الحضارة ـ ص ١١٤

٢ ـ نطاق الاهوار الوسطى الواقعة بين نهري دجلة والفرات وتشتمل على الأهوار الاتية من الشمال الى الجنوب : هور عكركوف ، عويريج ، الشكوس (البرغوثيات) ، دملج ، ابي عجول ، هور البدعة (الغاموكة) ، الصيكل وام البني .

٣ ـ نطاق الاهوار الغربية الواقعة على نهر الفرات وتشتمل على :

أ ـ الاهوار الواقعة على الجانب الأيسر من نهر الفرات وتشمل من الشمال الى الجنوب على : هور ابن نجم ، الرماح ، ابي حجار ، هور الله ، وهور لفتة .

ب ـ الاهوار الواقعة على الجانب الأيمن وهما هور اللايح في الشمال وهور الحمار في الجنوب .

تزداد مساحة هذه الأهوار خلال موسم الامطار وذوبان الثلوج اذ تدخل النهرين كميات عظيمة من المياه فتتسرب الى تلك المناطق المنخفضة وما ان ينتهي موسم الفيضان وتنخفض مناسيب المياه وترتفع درجات الحرارة في الصيف حتى تتقلص مساحاتها وعلى هذا يمكن تقسيم تلك الاهوار الى قسمين :

أ ـ الاهوار الفصلية .

ب ـ الاهوار الدائمية .

ان المياه الوفيرة الداخلة لمناطق الأهوار العميقة تجعلها غير قادرة على استيعاب تلك الكمية الاضافية ، فتبدأ المياه بالتبطح على الاراضي المجاورة مكونة مسطحات مائية ضحلة سرعان ما تجف في فصل الصيف وهذه هي الاهوار الفصلية . اما ما تبقى من مياه الفيضان خلال فصل الصيف فيكون موضع استقراره في المناطق العميقة (البرك) من تلك الاهوار وهذا النوع من الأهوار تكون فيها المياه مستديمة ونعرفها بالاهوار الدائمية .

وقد تقلصت مساحات تلك الاهوار الى درجة كبيرة في الوقت الحاضر نتيجة لتنفيذ مشاريع الري (الخزانات) التي قللت من تدفق المياه الى تلك المنخفضات . فمنها ماأندثر ، كهور عكركوف ، عويريج ، البرغوثيات وام طفر الواقع في جنوب غرب هور الجكه في العمارة . هذا وتقدر مساحة الاهوار التي تقع في جنوب العراق بحوالي (٦) الآف ميل مربع موزعة على النحو الآتي :

اهوار العمارة ١٥٧١٫٤ ميل٢
اهوار الناصرية ٥٩٣٫٨ ميل٢
اهوار الديوانية ٢١٠ ميل٢
اهوار البصرة ١٢٢٤٫٨ ميل٢
اهوار الكوت ٢٣١٫٧ ميل٢ (هور الشويجة)

ووصفت هذه الاهوار بأنها كانت تحتل مساحة اوسع ، فقد بلغت مساحتها ٣٥٫٠٠٠ ميل٢ بينما تشير مصادر اخرى الى ان البطائح كانت تحتل مساحة حوالي ٣٠ فرسخاً في كلا الاتجاهين [الفرسخ يساوي ٣أميال] ويمكن القول بأن مساحة تلك الأهوار كانت في اتساع وانكماش تبعاً لشدة فيضانات النهرين على مر العصور وعلى مدى التحكم بمياه الأنهار[٢] .

الاصالة

« اكحيل امصلصل من عمه وخاله »

« اهزوجة شعبية »

عرب الاهوار لا يتزوجون من خارج بيئتهم وهذا يؤكد أنهم احتفظوا بنقائهم واصولهم وهويتهم العربية ...

ولخشونة الحياة في هذه المناطق ومناخها الاجتماعي الخاص وظروفها البيئية لم يستطع اي من الغرباء او الغاصبين التسرب الى المنطقة او استيطانها . فظروف الحياة ـ على حد تعبير أحد المغامرين الاوربيين في الماضي ـ تعطي للموت انتصاراً ما .. وعلى الرغم من ذلك فان الحياة هي التي تنتصر ..

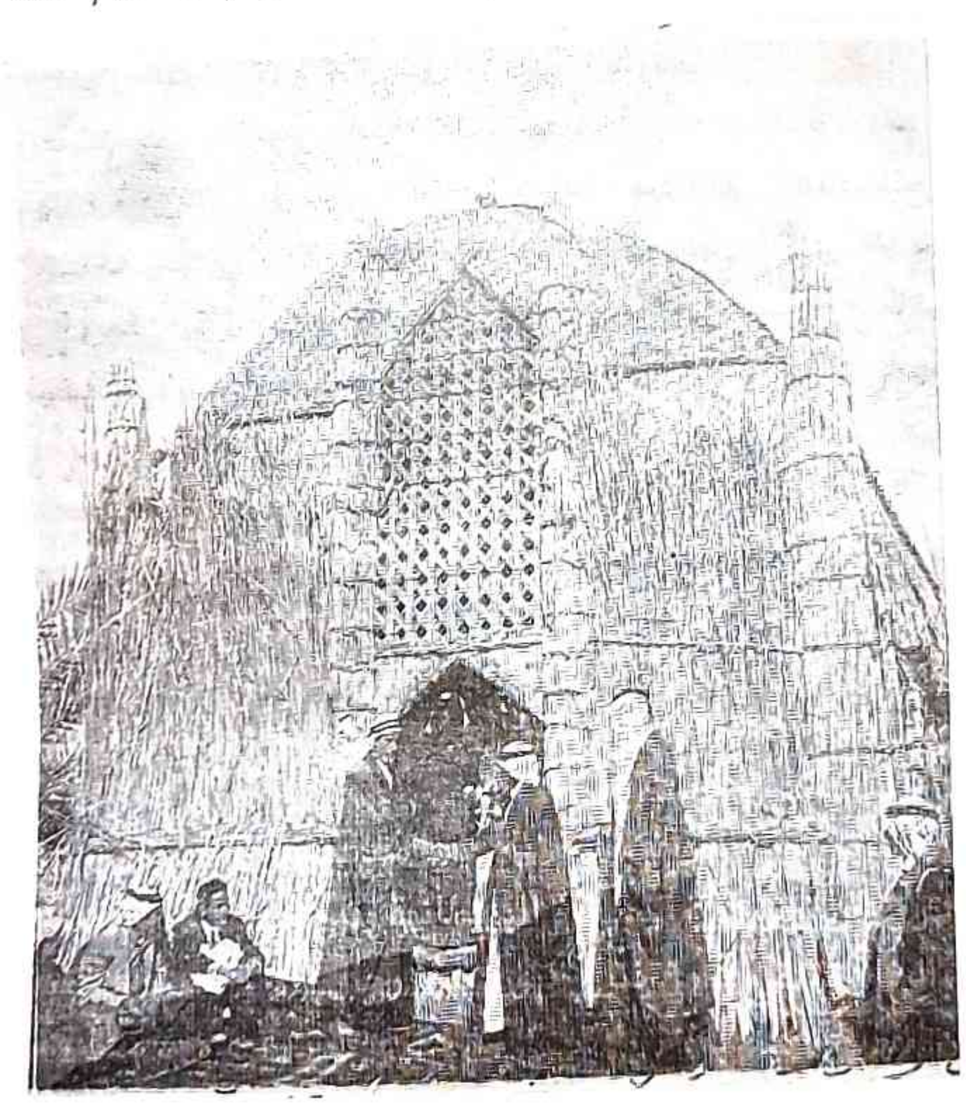
هؤلاء الذين ينتصرون للحياة هم عرب الأهوار الذين يسكنون في اكواخ مشيدة من القصب (البواري) تربطهم علاقة القبيلة التي تختص بمنطقة ما تعد ديرتهم يدافعون عنها ضد اعتداء المعتدين او اغتصاب الغاصبين حماية لذواتهم ولمراعيهم وزراعتهم .

(٢) الدكتور حسن الخياط ـ جغرافية واهوار ومستنقعات جنوب العراق ـ ص ١٦ .

هؤلاء السكان يزهون بتاريخ عريق يمتد عبر تاريخ منطقتهم حتى القادسية وام المعارك تاريخ حافل بالكبرياء والاباء .

مجلة آفاق عربية

العدد / السنة العاشرة / نيسان / ١٩٨٥



نظام الري

لقد سبق ان ذكرنا ان في حكم المتفق عليه ان منطقة جنوبي العراق اي الاهوار لم تكن مغمورة بمياه البحر في الازمنة القديمة كما كان يعتقد . وان النظرية القائلة بأن ـ حد ساحل الخليج كان في جوار سامراء قبل الالف الرابع قبل الميلاد ثم انسحب نحو البحر جنوباً في حدود الساحل الحالي نتيجة تراكم الترسبات الغرينية حتى اصبح مجاوراً لمدينة اور القديمة في جوار الناصرية ـ قد اصبحت مردودة من حيث الاساس . اذ ثبت جيولوجياً وتاريخياً ان حد الخليج في جنوب العراق كان في الحد الحالي للخليج العربي وان السومريين استوطنوا هذه المنطقة بالذات وتمكنوا من ان يمارسوا الزراعة فيها بدون سقي على الجزر المنتشرة في الاهوار والمستنقعات مستغلين ما في تربتها من الغرين والرطوبة لإنماء زروعهم وخاصة زروعهم الصيفية ، وكان ذلك على مقياس محدود جداً اي على قدر ما تسمح به جهود المزارعين وسعة الاراضي في الجزر وهي محدودة ايضاً . ثم اخذوا يجففون بعض الاهوار وانهم تطبعوا على الحياة البطائحية تلك . وقد كانوا ـ في الطور الاول من مراحل تطورهم الزراعي ـ من القلة بحيث لم يستطيعوا ان يمارسوا الزراعة على مقياس واسع فاستغلوا ما هيأته لهم الطبيعة من موارد واعاشة مواشيهم وسيقان القصب الناضجة المادة لبناء مساكنهم وكان السمك غذاءهم الرئيس كما هي عليه الحال بالنسبة لسكان الهور في الوقت الحاضر[١] .

وجاء تنظيم السومريين للري وشق الجداول وعمل السدود[٢] والمبازل والخزانات مدهشاً . وكانت بداياتهم في الري بسيطة فاستفادوا من رطوبة التربة (طريقة الري الحوضي) ثم أحيوا اراضي جديدة في منطقة الاهوار

---

(١) الدكتور احمد سوسة ـ مصدر سابق ـ جـ ١ ـ ص ٤٠٧ ، ٩١ ، ٤٠٤ .

(٢) يطلق عرب الاهوار على السدود اسم الحمول ومفردها حمل وهو سد من القصب والبردي والتراب على الانهار والقصد منه رفع مناسيب المياه وقت الصيهود . وتوجد في الحمل فتحة صغيرة تسمح لمرور زورق واحد ويخضع الحمل لمراقبة افراد العشيرة وكثيراً ما تحدث بعض النزاعات العشائرية حول اقامة الحمول في اراضيها .

بإحاطتها بسدود ترابية وتجفيفها وسقيها سيحاً بإحداث فتحات في سدودها للارواء قدر الحاجة[٣] وقد نشر الدكتور احمد سوسة في كتابه « حضارة وادي الرافدين » صورة تمثل منظراً لسكان الاهوار القدامى (السومريين) وهم ينشئون سداً من القصب والتراب عبر الاهوار لاستصلاح الاهوار بتجفيفها واستخدامها في الاغراض الزراعية . وكان السومريون ينشئون السداد لدرء اخطار الفيضان[٤] .

لقد اخذوا ـ اي السومريون ـ في بدء عصور التاريخ باصلاح « ارض البحر » بإقامة السدود من التراب والقصب ومثل ذلك يفعل عرب الأهوار اليوم . وأخذت تلك السدود تعلو وتمتد حتى احاطت بمساحات واسعة زرعت ورويت من فتحات في السدود نفسها ، ثم بنيت المدن وشيدت المعابد حيث ترغب الآلهة في ان تقيم . ومع ان ارض البحر هذه كانت واطئة كما يدل على ذلك اسمها إلا ان تلك السدود المقامة حولها كانت تقوى دائماً لتحفظها من غوائل الفيضان[٥] .

كما ان الاقوام الذين جاءوا من بعد السومريين قاموا بانجازات مهمة شملت منطقة الاهوار وفي سبيل المثال لا الحصر ان (اور ـ نمو) (٢١١٢ ـ ٢٠٩٥ ق.م) مؤسس سلالة اور الثالثة قام بجملة مشاريع زراعية اهمها انه شق قناة الحدود المسماة (نانا جوجال) ويساوي حوضها أمواه البحر وهناك لوح من ذلك العهد يحتوي على اجور النساء اللواتي استخدمن في عمل سد من القصب عند رأس القناة[٦] .

وقد اهتم الخلفاء الامويون بالزراعة واستصلاح الاراضي كما اهتموا في امر البطائح وتجفيفها .. فطلب معاوية من مولاه عبدالله بن دراج عامل خراج العراق مكافحة الفيضانات والاهتمام بأمر البطائح وتجفيفها فاستخرج له منها اراضي واسعة بلغت غلتها خمسة ملايين درهم في السنة ..

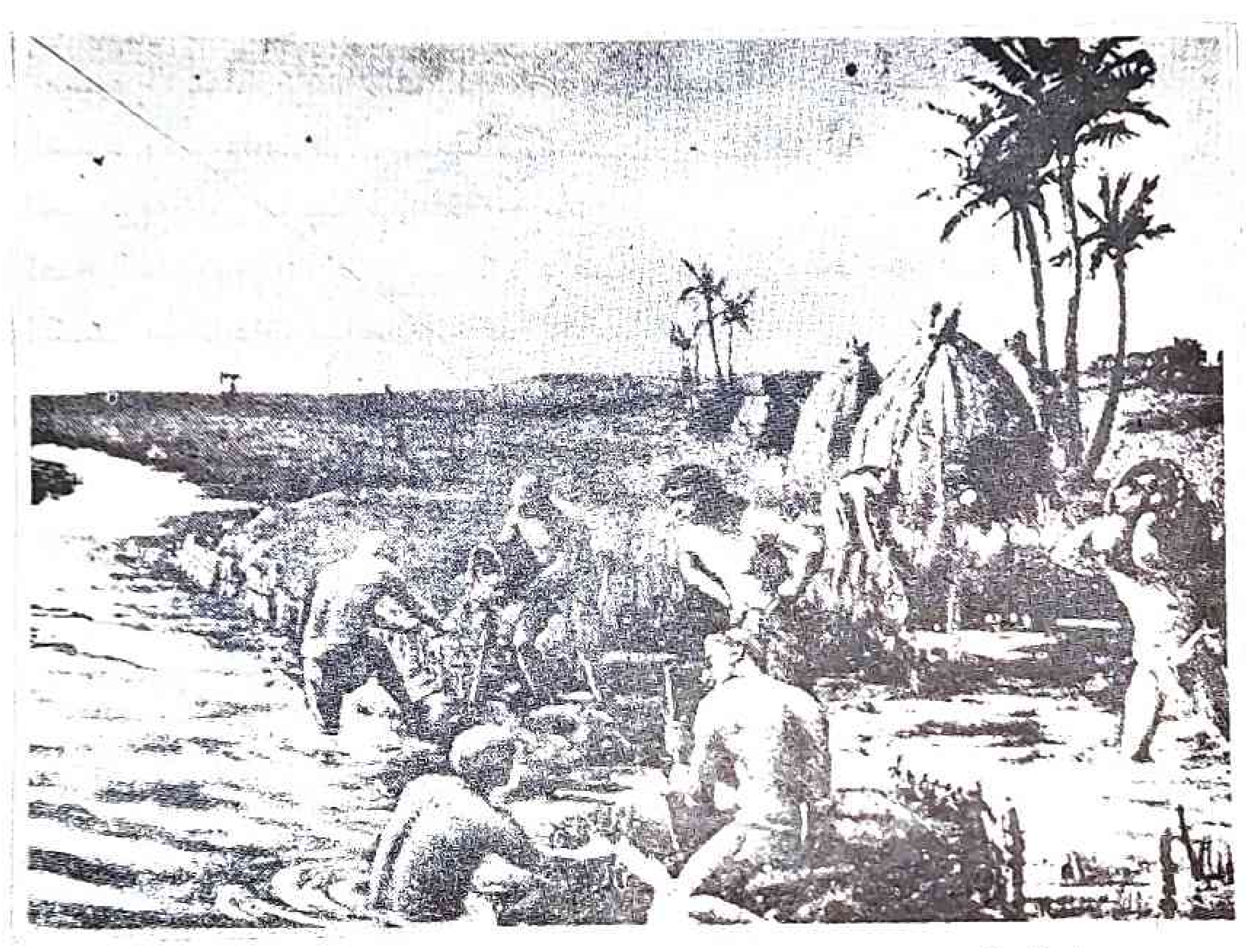
---

(٣) الدكتور سامي سعيد الاحمد ـ السومريون ـ ص ٣٦ .

(٤) الدكتور احمد سوسة ـ مصدر سابق ـ جـ ١ ـ ص ٤١٩ .

(٥) فلانين ـ الحاج ركان ـ ص ٥٢ .

(٦) طه باقر ـ مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ـ جـ ١ ـ ص ٣٨٢ .



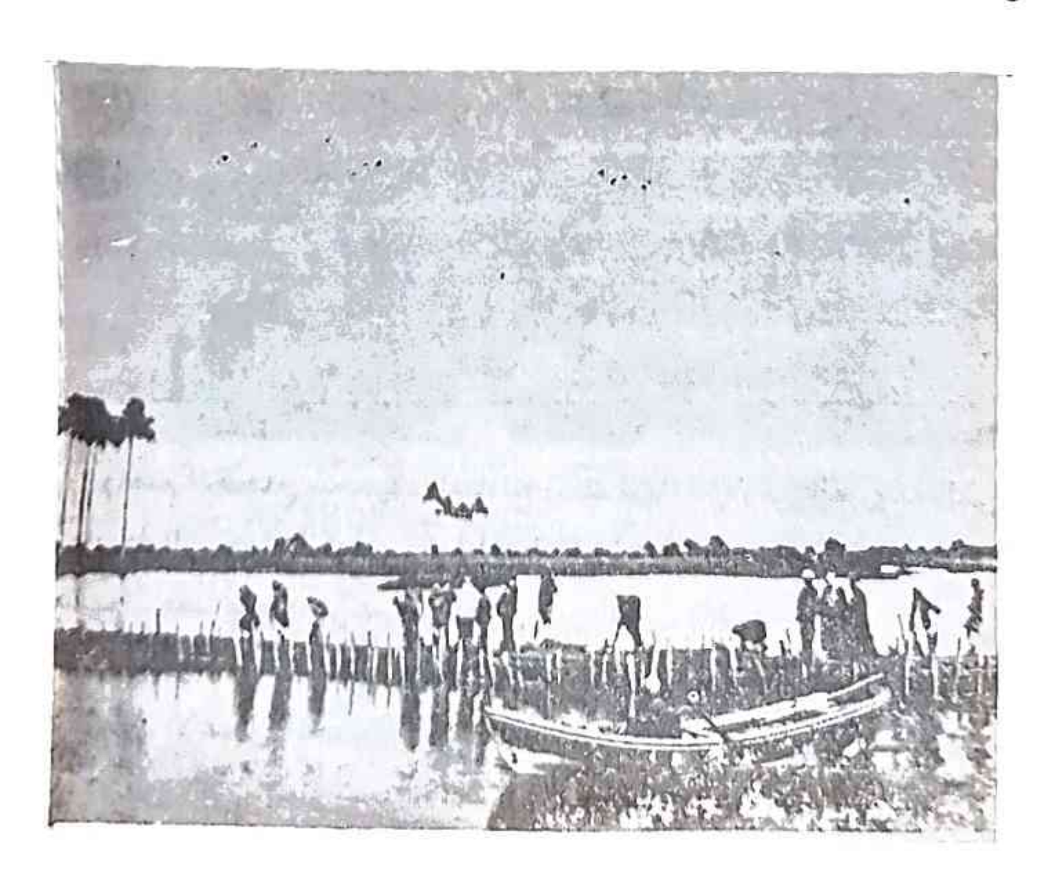
واهتم الحجاج بتجفيف البطائح وذلك لزيادة الارض المزروعة التي تمتد من واسط الى جوار الكوفة .. كما انه اتخذ اجراءات صارمة تتعلق بالفلاحين انفسهم .. فقد منع هجرتهم من قراهم الى المدن وأمر بإرجاعهم الى مزارعهم وقراهم بالقوة ونقش على يدكل واحد منهم اسم قريته[7] ..

ومن الاعمال الحديثة التي تذكرنا بمشاريع السومريين الاستصلاحية التي اقاموها في اهوار هذه المنطقة لاستغلالها زراعياً المشروع الجبار الذي انجزه ناصر باشا آل سعدون متصرف الناصرية عام ١٨٧٠ والمعروف بـ « سدة ناصر باشا » وهو عبارة عن سد ترابي واقٍ من الفيضان اقيم على طول الضفة اليمنى لمجرى ذنائب الفرات بين سوق الشيوخ على نهر الفرات والقرنة على نهر دجلة وذلك بغية تجفيف الاراضي البطائحية الشاسعة من هور الحمّار الممتدة جنوب شرقي السد لصد مياه الفيضان عنها واستغلالها

---

(٦) مصطفى عباس الموسوي ـ العوامل التاريخية لنشأة المدن ـ ص ٣٠٧ .

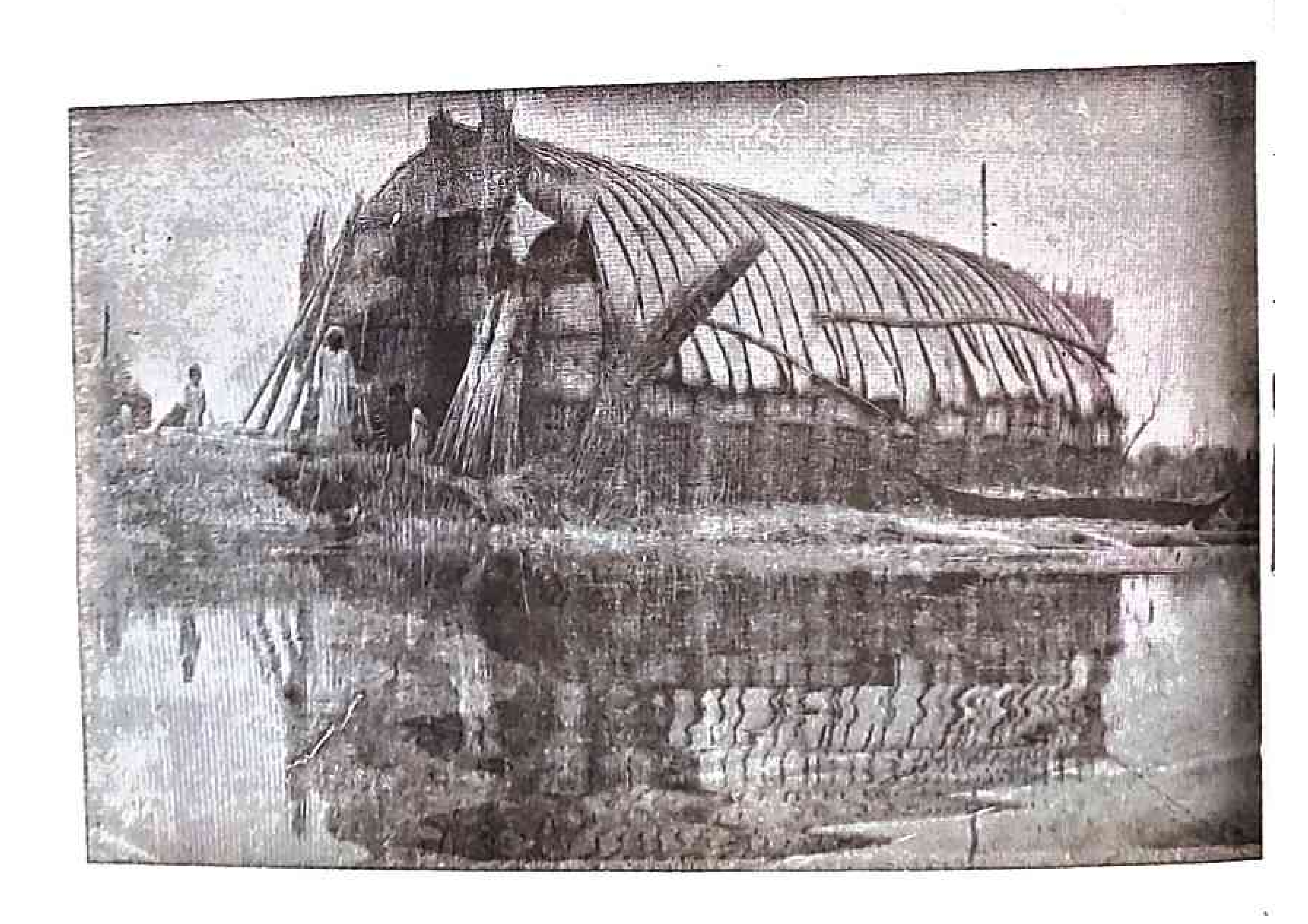
في الاغراض الزراعية . وفي المدة التي بقي فيها السد قائماً والتي لم تتجاوز العشرة الاعوام كانت تلك المنطقة المستصلحة تزرع حنطة وشعيراً في الشتاء وذرة وارزاً في الصيف . وبعد ان هُدم ذلك السد نتيجة النزاعات العشائرية التي نشبت في تلك المنطقة لم تجر محاولة ما لصيانته من الغرق فصار الماء يغمر الاراضي بصورة متواصلة ونبت على سطحها البردي والقصب الكثيف بمساحات شاسعة . وهذه هي الطريقة نفسها التي كان قد اتبعها السومريون في اعمالهم الزراعية مع الفارق ان عمل ناصر باشا كان بمقياس اوسع .



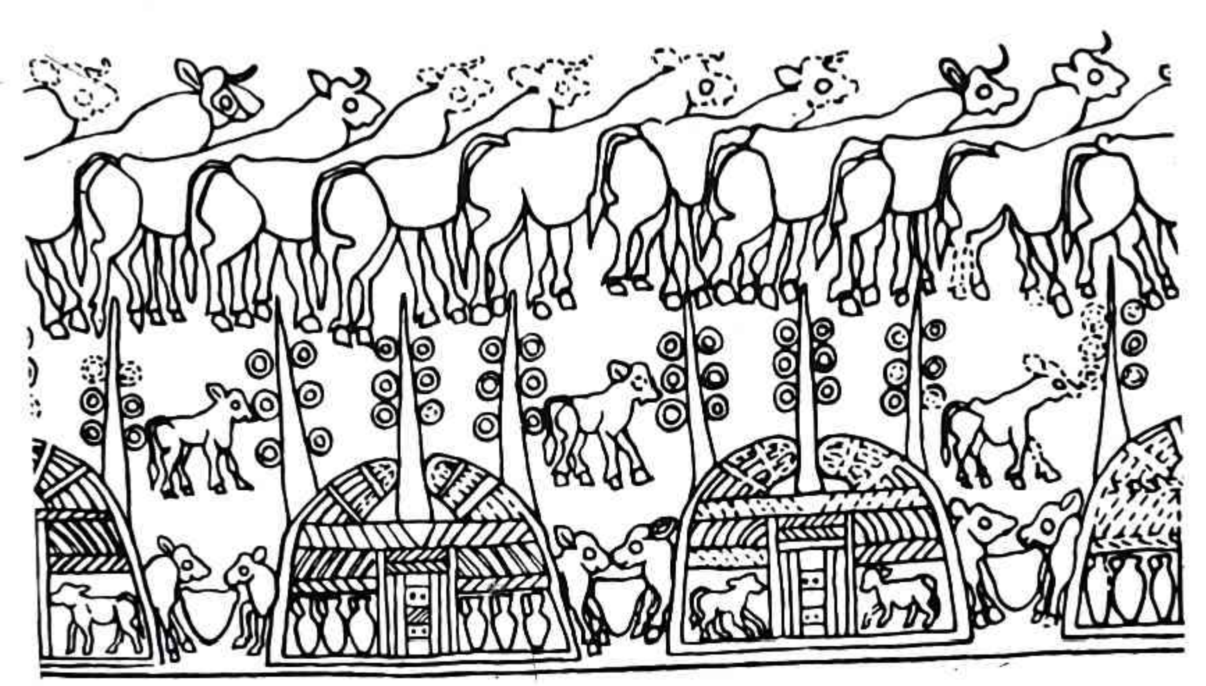
أكواخ القصب

وقد اشار الكثير من الباحثين الى ان اقدم مزارعي العبيد في سومر سكنوا على وجه الحصر في اكواخ من القصب وقد عثر بكل تأكيد على جدران من الآجرّ الطيني في طبقات اقدم في كل من « اريدو » و « اور » كما ان مثل هذه الآثار وجدت لمنشآت من القصب جنباً الى جنب مع استخدام الآجرّ الطيني وظهر منزل من الآجرّ الطيني في اريدو وله بناية ملحقة من القصب كما يجب التأكيد على ان استعمال المنشآت القصبية لا يعني بأي حال من الاحوال انها مستوطنة (بدائية) . ان الاكواخ القصبية تعد منزلًا ملائماً للحالة المناخية في جنوب العراق وما زال قيد الاستعمال حتى اليوم .

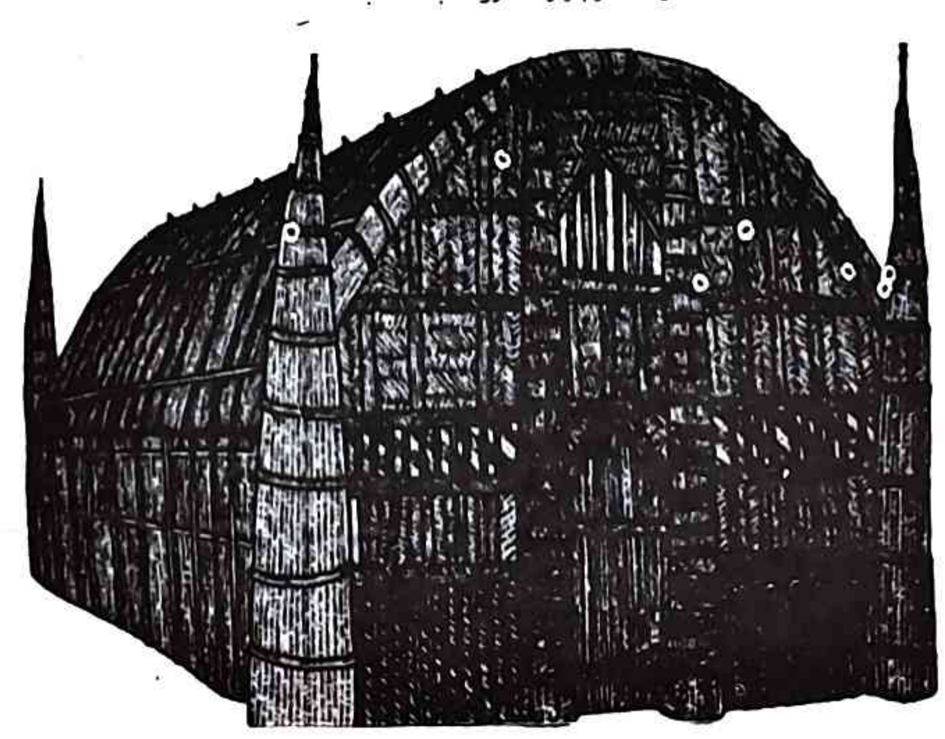
وقد نشر العالمان ـ ديفيد وجوان اوتيس في كتابهما (نشوء الحضارة) The Rise of Civilization بصمة لختم تظهر فيها ماشية في الحقل الاعلى



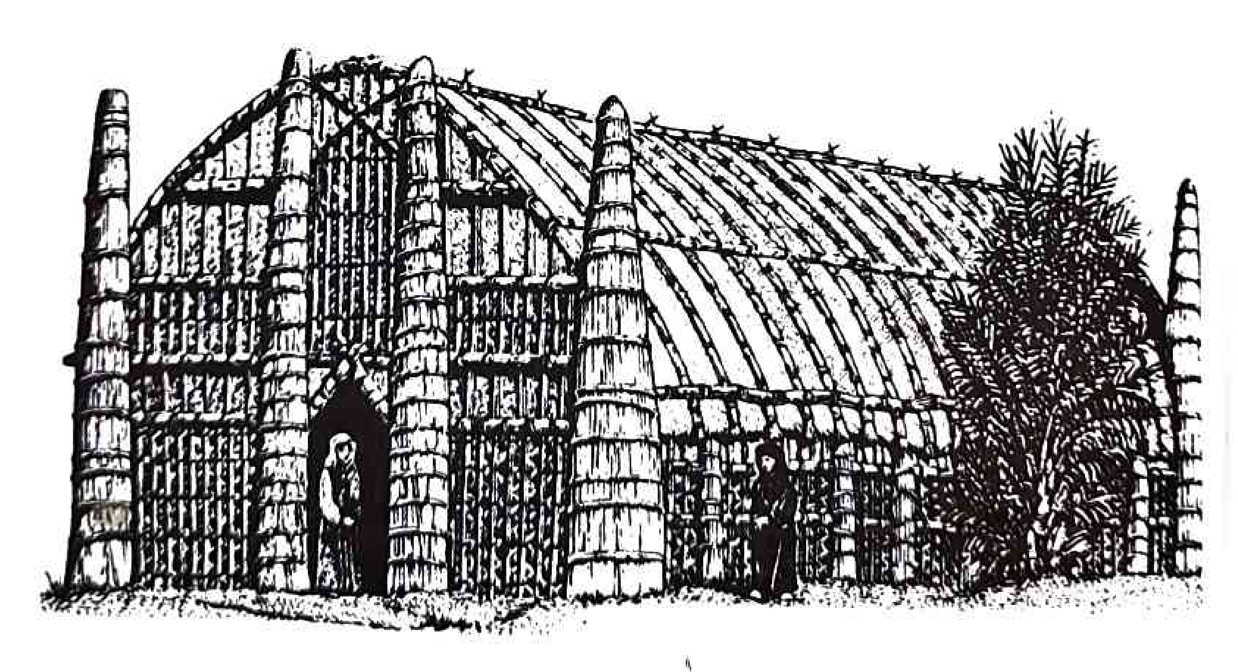
وخراف في الحقل الاسفل مع زرائب شيدت من حزم القصب بداخلها صغار الحيوانات وجرار مخزونة بالتعاقب وقد قارناها بمضيف عرب الاهوار ووجداها كثيرة الشبه بتلك الصورة المحفورة على الختم الذي يرجع عهده الى عصر الوركاء .



بصمة للختم نفسه تظهر فيها ماشية في الحقل الاعلى . وخراف في الحقل الاسفل مع زرائب شيدت من حزم القصب ، بداخلها صغار الحيوانات وجرار مخزونة بالتعاقب



ويخبرنا نص كتابة سومرية ان شولكي احد ملوك سلالة اور الثالثة قد اهتم كثيراً بمدينة اريدو التي كانت تقع (آنذاك) على ساحل البحر - ويجب ان لا يؤخذ هذا النص بحرفيته - فكما اوضحنا قد نستنتج ان المدينة كانت مرتبطة بالبحر بوساطة نظام من الاهوار المليئة بالامواج وان هذه تشكل جزءاً من منطقة الاهوار مشابهة الى المنطقة التي تفصل السهل الرسوبي اليوم عن رأس الخليج العربي . وعلى اي حال يظهر ان سكان مدينة اريدو الاوائل وبعض المواقع السومرية الاخرى كانوا انفسهم سكنة اهوار يعيشون في بيئة يمكن مقارنتها ببيئة عرب الاهوار الحاليين في العراق .. فليس من المدهش اذن ان تكون العمارة (الرمزية) على الاختام الاسطوانية السومرية والمنحوتات تصور مباني مشيدة من القصب تشابه في تفاصيلها المضايف (جمع مضيف) المخططة بكل براعة والتي يمكن مشاهدتها في قرى مناطق الاهوار اليوم . فتصعب والحالة هذه معرفة ان كانت البنايات الدينية التي تم تمييزها في الطبقة ١٦ بتنقيبات المعبد في اريدو وغيرها قد شيدت باللبن . وقد تم فعلاً خلال تنقيبات تمهيدية في اريدو العثور على بقايا بناء متواضع من القصب بكل تأكيد وقد برهن بعد ذلك على انها لا تعدو ان تكون بناء خارجياً



مضيف عرب الاهوار في جنوب العراق وقد شيد من حزم القصب كثير الشبه بالبنايه التي ظهرت على ختم من اواخر الوركاء

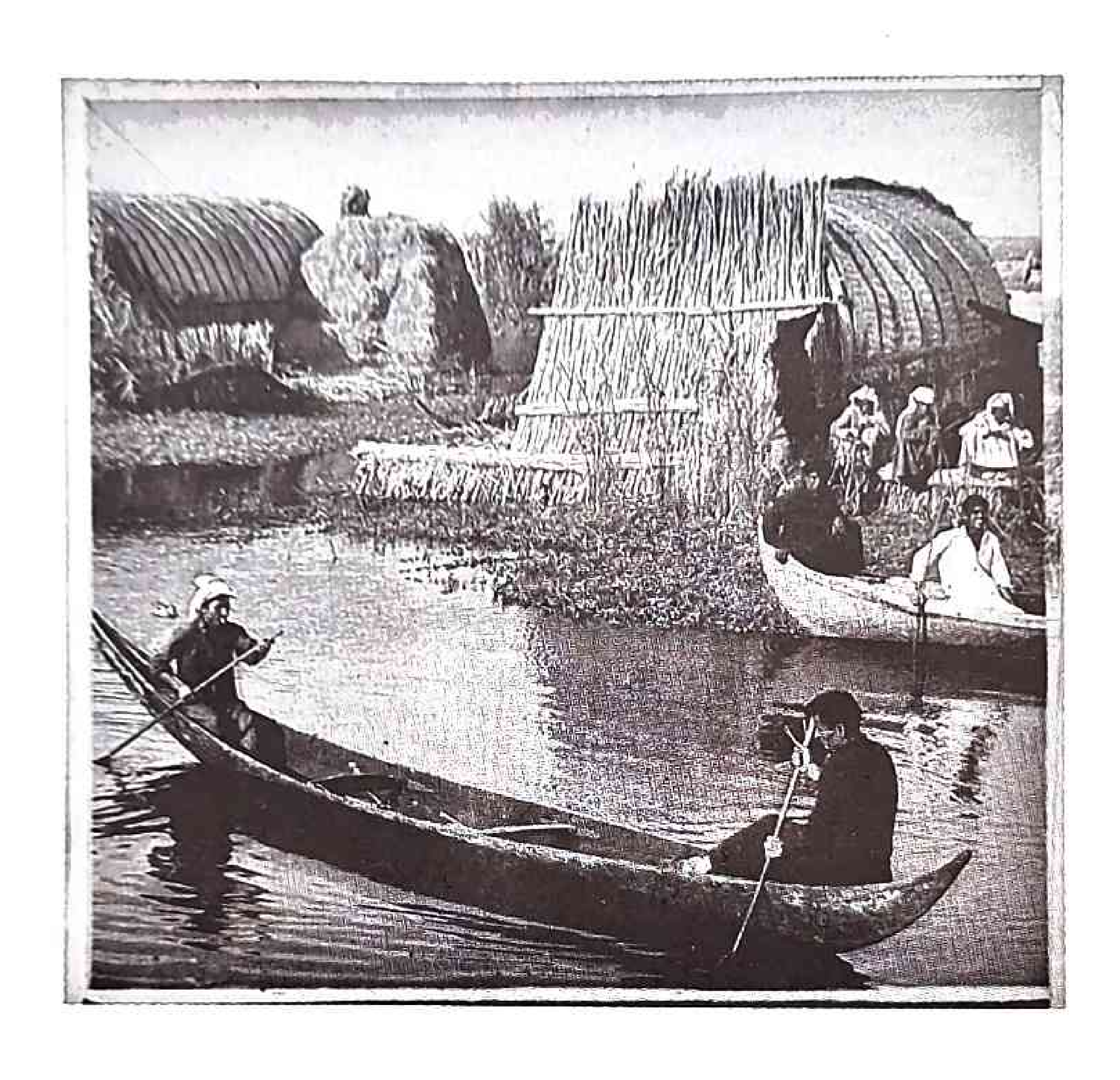
لبيت اعتيادي مبني من اللبن[١] .

ويرى العالم الآثاري « وولي » ان البطائح (الاهوار) كانت موجودة في جنوبي العراق منذ زمن بعيد .. اذ انه وجد اثناء حفرياته في تل العبيد الواقع الى الشمال من اور بحوالي ٧ كيلومترات آثاراً قديمة تعود الى حضارات عصر العبيد (٤٥٠٠ - ٣٨٠٠ ق.م) وعصر الوركاء (٣٨٠٠ - ٣٥٠٠ ق.م) وعصر جمدة نصر (٣٥٠٠ - ٣٢٠٠ ق.م) ومنها بعض قطع من الفخار وعليها آثار عيدان البردي (الحلفاء) وتبين له ان هذه الارض كان يعيش عليها اناس في اكواخ مصنوعة من عيدان القصب والبردي . ان وجود آثار القصب والبردي لدليل على وجود الاهوار منذ ذلك الوقت . اذ ان هذه النباتات توجد حيث توجد الاهوار والمستنقعات[٢] .



(١) سيتون لويد - آثار بلاد الرافدين - ص ٤٤ ، ٤٦ - ترجمة الدكتور سامي سعيد الاحمد .

(٢) الدكتور حسن الخياط - مصدر سابق - ص ٥٢ .



ملحمة گلگامش

وكوخ القصب او بيت القصب يرد في ملحمة گلگامش . ففي اللوح الحادي عشر وفي قصة الطوفان ترد لفظة كوخ القصب في الخطاب الذي وجهته الآلهة الى (اتونابشتم) (صاحب كوخ القصب) :

اسمع يا كوخ القصب!
يا جدار يا جدار
اسمع يا كوخ القصب وافهم يا حائط
ايها الرجل (الشروباكي) يا ابن « اوبار - توتو »
قوّض بيتك وابنِ لك فلكاً (سفينة)

وفي اللوح السادس من الملحمة نفسها وفي الحوار الذي بين عشتار وگلگامش يرد المثل البابلي :

« وهل يدرأ كوخ القصب الزمهرير »[1] .



(١) طه باقر - ملحمة كلكامش - ص ١٣٣ ، ٩٣ .

وقد ذكرت فدعة الزريجية مضيف اخيها حسين بن علي الصويح احد حكماء عرب الاهوار في اواخر القرن الثاني عشر الهجري حينما وصفته بلغتها الشعبية :

عـــالي مضيفنـــه وشحـــلاتـــه
او روس الحـــراثي امـــوافجـــاتـــه
اخـــوي الثـــلاثـــه امـــرافجـــاتـــه
الكـــرم والمـــراجـــل والصمـــاتـــه
اخـــوي جـــاراتـــه خـــواتـــه
اخـــوي العبـــد والضيف اغـــاتـــه

شبهت الشاعرة مضيف اخيها بشموخه وان الطرق المختلفة تفضي اليه . كما انها عددت صفاته وبينت شجاعته وسخاءه ورجولته وبطولته وخدمته للاضياف وغضبه الشديد على اعدائه ومناوئيه وقولها « اخوي العبد » وفي هذا تشابه مع قول المقنّع الكندي :

وإنّي لعبـــدُ الضيف مـــا دام نـــازلًا
ومـــا لي سواهـــا قطّ من شيم العبـــد[٢]



(٢) عبدالمولى الطريحي ـ فدعة الشاعرة ـ ص ١٢ .

حزمة القصب الخالدة

والقصب يحتل منزلة كبيرة في الطقوس والممارسات العبادية والسحر وتفسير الاحلام عند سكان العراق القدامى ولا اجد نباتاً اكثر قدسية من نبات القصب .

وكان وما يزال للقصب دور بارز في حياة عرب الاهوار فقد دخل في صناعات يدوية عديدة منها حياكة السلال والحصران (البواري) وعمل الاسيجة كما دخل في عمل السفن والزوارق وذلك بتجميع حزم القصب مع بعضها وربطها بإحكام لهذا الغرض . ودخل القصب في اعمال بناء واسعة واقامة الجدران والاسيجة والحواجز وكذلك في تشييد الاقواس والعقود والمباني .

ومن المؤكد ان معظم جنوبي العراق كان يستخدم القصب في البناء عند بدء الاستيطان أول مرة في هذا القسم من وادي الرافدين وان غالبية اكواخ قرى الجنوب الاولى كانت قد شيدت به كأريدو واور وتلو وفارة وفي كثير غيرها .

وهناك اشارة واضحة الى ان بيوت مدينة شروباك (تل فارة) كانت مشيدة بالقصب . كما ان المراجع العربية تخبرنا ايضاً ان البصرة والكوفة اول مدينتين شيدهما العرب المسلمون في العراق بعد تحريره من ايدي الغزاة الساسانيين اي في زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رض) قد كانتا من القصب بكل مبانيهما بما فيها المسجد الجامع ودار الامارة والاسواق وبيوت السكن .

هذا وان ظاهرة استخدام القصب بشكل اوسع في هيكل ابراج العراق المدرجة (الزقورات) المشيدة من طبقات متعددة من صفوف اللبن والطين ظاهرة واضحة وبارزة نشاهد بقاياها اليوم في عدد من زقورات القسم الوسطي والجنوبي من العراق مثل زقورات (اور) وكيش ولارسا والوركاء وعقرقوف .

وقد جرت العادة بفرش طبقة من القصب بين اعداد ثابتة من صفوف اللبن المشيدة به الزقورة . وكان القصب يفرش في جسم الزقورة بمساحته الطبيعية دون ان يحاك بشكل حصران مسبقاً . ولما كان يفرش باتجاهين متعاكسين فانه يوحي للناظر الى بقاياه اليوم وكأن حصران القصب داخلة في

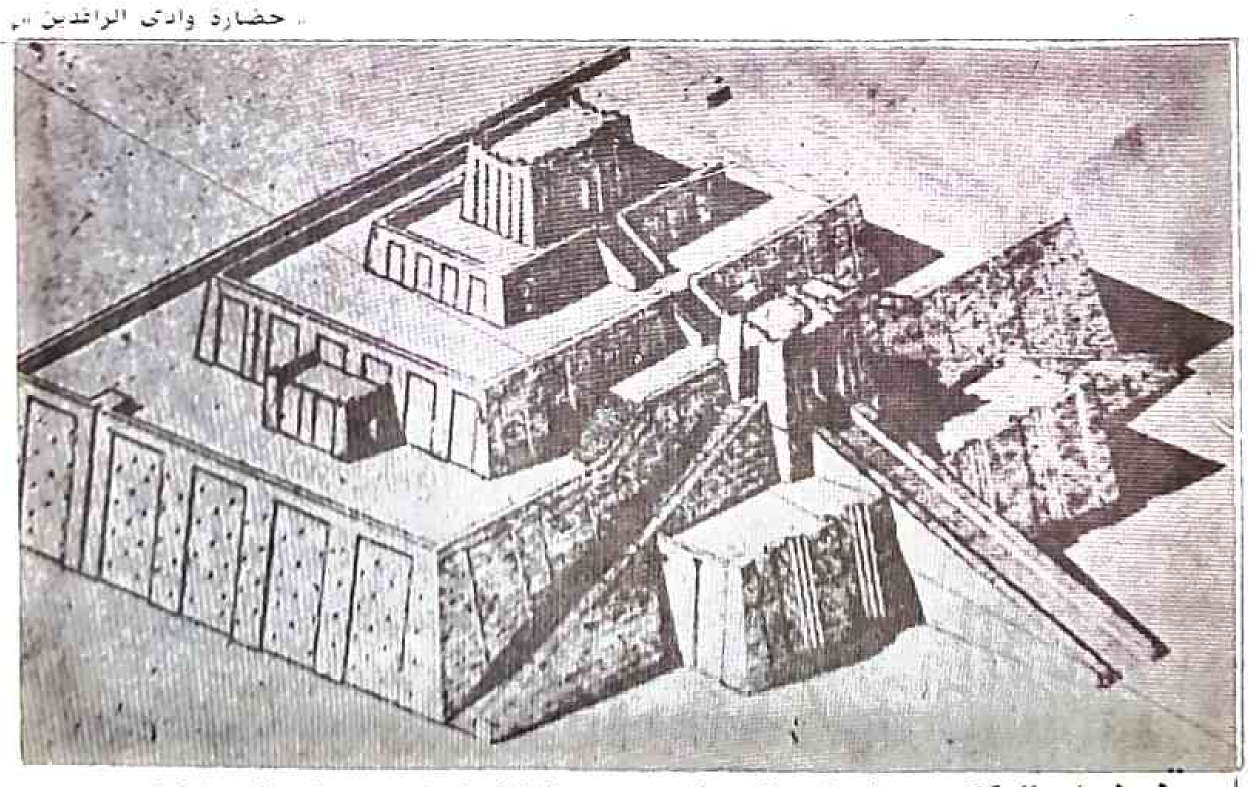
بناء الزقورة . وفي زقورة عقرقوف بالذات يشاهد الزائر فضلاً عن طبقات القصب الداخلة في جسمها حبالًا مجدولة من سيقان القصب تخترق الزقورة من جانب آخر . وتقوم هذه الحبال بعمل قضبان حديد التسليح في المباني الحديثة .

لقد كان استخدام القصب في الكتل البنائية الكبيرة والصلدة ضرورة معمارية لشد اقسام ذلك الهيكل الطيني الضخم كالزقورة وضمان تماسكه . وقد انتقلت هذه التقنية في البناء من العراق القديم الى وادي النيل مع غيرها من التقنيات الفنية في اواخر عصر الوركاء حيث نشاهدها في مساطب مصر القديمة المشيدة من اللبن ايضاً[1] .

ومن المعروف عن الآلهة السومرية والبابلية انها تمثل بالدرجة الاولى قوى الطبيعة وان لكل منها وظيفة خاصة . فهناك في سبيل المثال لا الحصر آلهة للسماء والشمس والقمر والهواء والارض .. ومن المعروف ايضاً ان سكان وادي الرافدين نسبوا لكل من هذه الآلهة صفات خاصة وانهم جسدوا تلك الصفات في رموز دينية صوروها على القطع الفنية فأصبحت بمرور الوقت

زقورة اورنمو في اور

« حضارة وادي الرافدين »

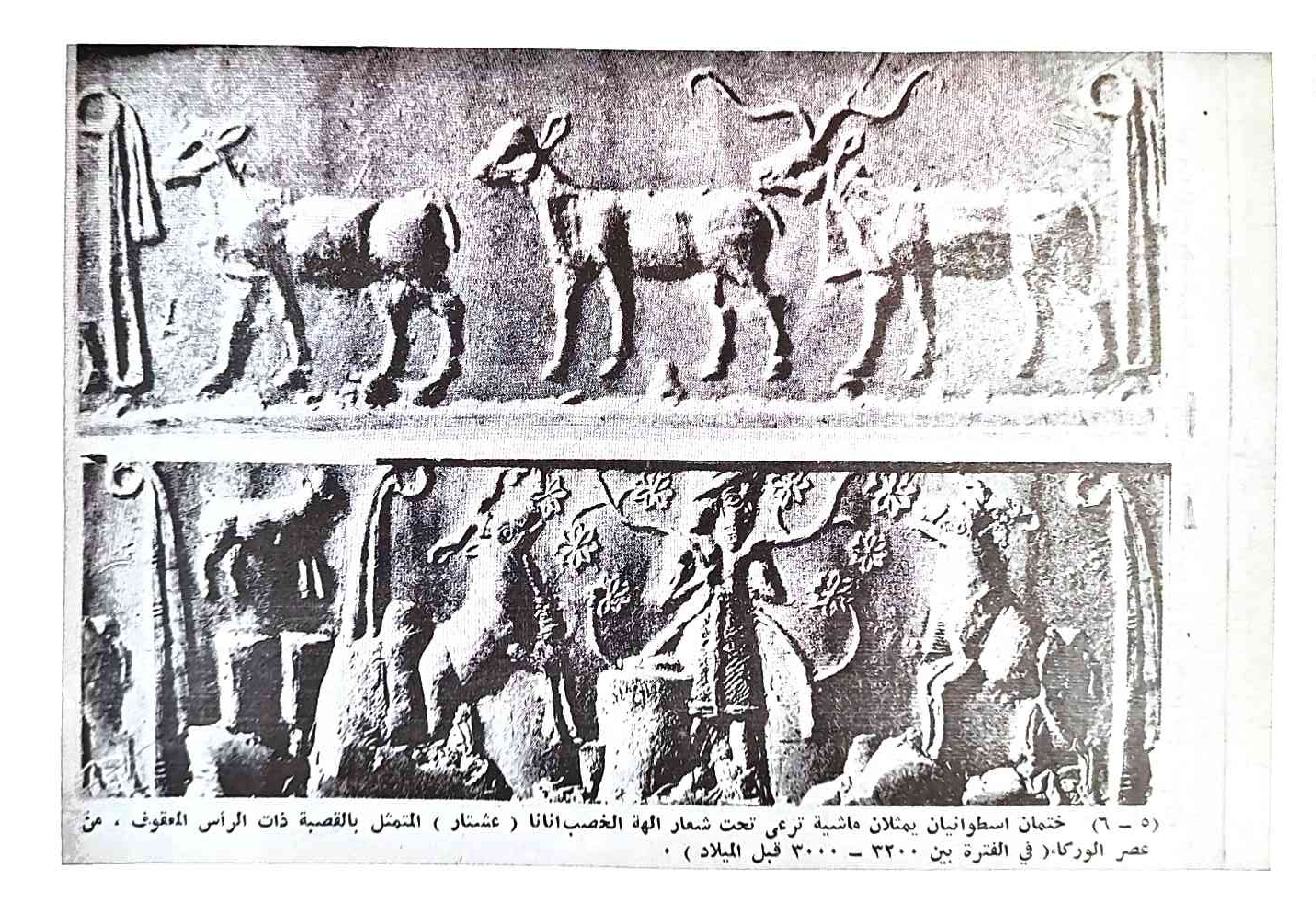


(١) الدكتور بهنام ابو الصوف ـ جريدة الثورة في ٢٠ / ٢ / ١٩٨٧ .

شارات او علامات مميزة للآلهة . وبقدر ما يتعلق الامر بآلهة الخصب فقد استخدم الاقدمون رموزاً لها لعل من اشهرها حزمتين من القصب برأسين معقوفين . وقد استعمل هذا الرمز على الاختام الاسطوانية وبعض النماذج الفنية ابتدأ من عصر فجر الكتابة (في حدود ٣٠٠٠ ق.م) . والاعتقاد السائد بشأن حزمتي القصب انهما تمثلان العمودين الجانبيين لمدخل الكوخ الذي ربما كان يتخذ منه مكان لاقامة طقوس الخصب الخاصة بالآلهة انانا في عصر مبكر جداً في بلاد سومر اي قبل ان تنشأ المدن الكبيرة وتبنى فيها المعابد والزقورات . وأهم من ذلك فقد اصبحت حزمة القصب في وقت مبكر ايضاً علامة صورية ومن ثم مسمارية لكتابة اسم آلهة الخصب « انانا » . ويرى بعض الباحثين ان حزمة او عمود القصب بنهايتها المعقوفة قد تركت اثراً واضحاً في تيجان الاعمدة الحجرية في بلاد اليونان في عصور لاحقة .

هناك شواهد كثيرة على هذا الرمز في القطع الفنية وخاصة الاختام الاسطوانية التي تعود الى عصري الوركاء وجمدة نصر . وتتناول هذه الاختام عادة مشاهد الماشية من ابقار واغنام ومعز وهي في وضعيات مختلفة كأن نراها وهي تأكل من اغصان شجرة او ان تكون في حالة السير نحو حظائرها . وفي كل الاحوال تظهر حزمة القصب برأسها المعقوف في طرفي المشهد او ان تشاهد بارزة من جانبي حظيرة الماشية . ومما لا شك فيه ان وجود رمز الالهة انانا في مثل هذه الاختام يرتبط بعقيدة الخصب اي من اجل تكاثر الحيوانات والنباتات .





(٥ ـ ٦) ختمان اسطوانيان يمثلان ماشية ترعى تحت شعار الهة الخصب انانا (عشتار) المتمثل بالقصبة ذات الرأس المعقوف ، من عصر الوركاء (في الفترة بين ٣٢٠٠ ـ ٣٠٠٠ قبل الميلاد) .

الاناء النذري

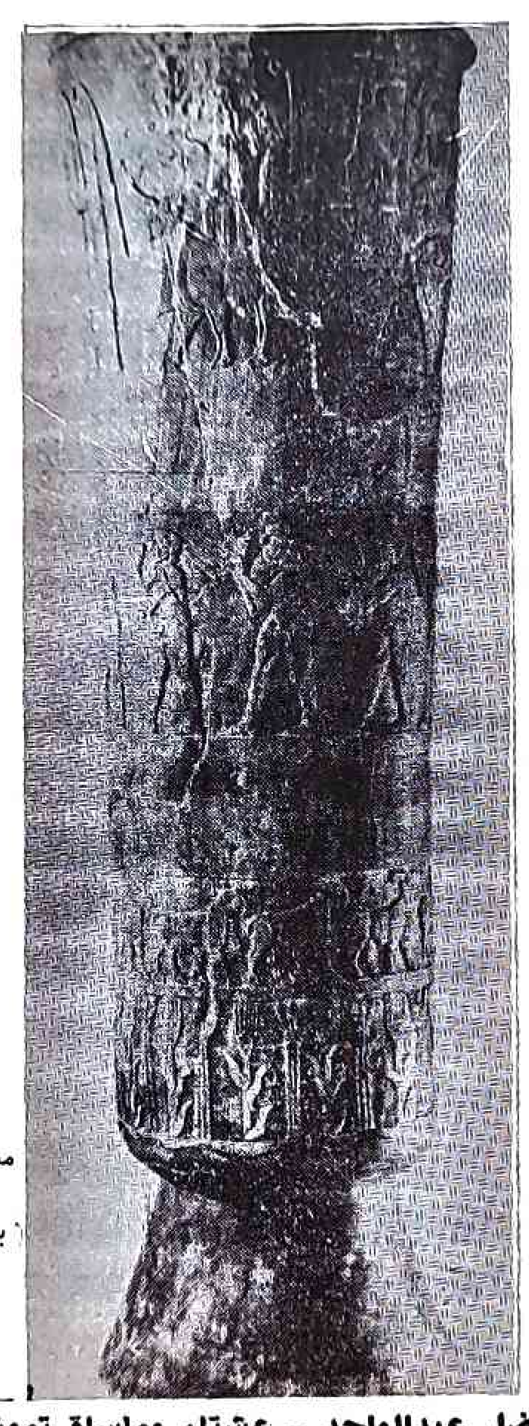
على ان من ابرز القطع الفنية وأكثرها شهرة بهذا الرمز وبطقوس الخصب المتعلقة بالالهة انانا ما يعرف بـ(الإناء النذري) المكتشف في مدينة الوركاء والذي يعود تاريخه الى عصر جمدة نصر (نهاية الالف الرابع وبداية الالف الثالث قبل الميلاد) ويعد هذا الإناء من القطع النفيسة في المتحف العراقي وهو من حجر الكلس على شكل اناء اسطواني (يبلغ ارتفاعه ٤١ ٣/٤ انجاً) وله قاعدة مخروطية . وقد نحت ظهر الاناء من الخارج بثلاثة حقول واحد منها فوق الاخر وهي تمثل مشاهد تقديم القرابين الى الالهة انانا .

وتظهر في الحقل العلوي من الاناء حزمتا القصب وأمامهما تقف امرأة تستقبل موكب القرابين وهي على الاغلب تمثل الالهة انانا نفسها او احدى كاهنات معبدها . ويتقدم الموكب رجل عادي يحمل بيديه سلة مملوءة يقدمها الى المرأة الواقفة امام الحزمتين . ويظهر خلف قائد الموكب بقايا لصورة رجل هو في الغالب الملك او الكاهن الاعظم ، بدليل انه يرتدي بدلة طويلة تميزه عن بقية الرجال الآخرين ولأن خادماً يسير خلفه وهم يحمل ذيل حزامه .

اما الحقل الثاني فانه يمثل صفاً من الرجال العراة وهم يحملون السلال والاواني والجرار لتقديمها الى الآلهة . ويظهر خلفهم في الحقل الثالث صف من الاغنام (كبش ونعجة بالتناوب) وهي تسير في ارض مزروعة بالحنطة او الشعير ونباتات اخرى على مقربة من حافة النهر .

وفضلًا عن الاهمية الفنية لهذا الاناء بوصفه اقدم ما اكتشف من آنية منحوتة حتى الآن ، فانه يعد من جهة اخرى اقدم اثر يصور لنا كيف كانت الهدايا والنذور تقدم الى الآلهة في سومر قبل خمسة آلاف سنة . ومن المحتمل ان تكون المشاهد التي ذكرناها قبل قليل هي في الواقع صورة لتقديم الهدايا اثناء الاحتفالات الخاصة بالزواج المقدس . وسواء كانت المرأة الواقفة لتسلم الهدايا في الحقل الاول من الاناء هي الالهة السومرية انانا أم الكاهنة لمعبدها فان وجود حزمتي القصب رمز الالهة انانا يدل على ان الهدايا كانت من اجل هذه الآلهة كما ان الفكرة التي يصورها المشهد بأجمعها تتفق وما هو

معروف عن تقديم الهدايا والنذور الى آلهة الخصب اثناء احتفالات الزواج المقدس[١][*] .



منظر عام للاناء النذري المكتشف في مدينة الوركاء
(بداية الالف الثالث قبل الميلاد) .
(عشتار ومأساة تموز)

(١) الدكتور فاضل عبدالواحد ـ عشتار ومأساة تموز ـ ص ٤١ ، ٤٣ .

(*) الآلهة انانا اسمها عشتار وهو آلهة الخصب وكانت تسمى الآلهة الامّ وهي مؤنث ومذكرها إله الخصب تموز او دموزي وكان يرمز للالهة عشتار بحزمة من القصب ونجمة مثمنة (المصدر نفسه ـ ص ١٥٢ ، ١٥٣) .



الاناء النذري : تفاصيل وافية عن تقديم الهدايا الى الهة الخصب انانا ، سلال مملوءة يحملها اشخاص عراة وماشية (تمثل كبشا ونعجة بالتناوب) .

(عشتار ومأساة تموز)

دعاء سومري

وفي نص سومري يدعو الكاهن ممثلة آلهة الخصب ان تتفضل على البلاد بالخيرات والنعم في سبيل ان يكثر الحب وينمو الزرع وتأتي الانهار بمياه وافرة والاهوار بالاسماك وطيور كثيرة وان يتكاثر القصب في الاهوار .

« وفي الاهوار عسى ان (تتكاثر) الاسماك وان تزقزق الطيور

وفي أجمة القصب عسى ان ينمو القصب القديم والقصب الجديد عالياً »[١] .

حلم دموزي

ويدخل القصب ايضاً في تفسير الاحلام وذلك من خلال الاطلاع على حلم دموزي او تموز قبل وقوعه في المأساة كما ذكرت ذلك الاسطورة نفسها وقصيدة سومرية يرجع زمن كتابتها الى حدود ١٨٠٠ قبل الميلاد[٢] .

حيث تذكر القصيدة ان دموزي وهو في غمرة من حزنه العميق جلس ليستريح من العناء بين ازهار العشب وان النعاس سرعان ما ادركه فغط في نوم عميق ثم انه رأى في خلال نومه حلماً جعله يستفيق مذعوراً ويذهب فوراً الى اخته الالهة كشتن ـ انا مفسرة الاحلام يسألها عن مغزى حلمه الذي يمكن تلخيصه على النحو الآتي :

لقد رأى دموزي نفسه تحيط به سيقان طويلة من القصب ولاحظ ان هناك قصبة كانت تقف وحدها وهي تطأطىء الرأس وانه بينما كانت اغصان القصب تقف زوجاً زوجاً فان غصناً واحداً منها سرعان ما ابتعد عن الغصن الذي كان بجواره . ثم رأى اشجاراً ترتفع من حوله بشكل مخيف وصقراً يمسك في مخلبه حملًا وقدحاً يسقط من وتد في حظيرة الماشية فيتهشم على الارض ، ثم رأى اغنامه وعنزاته في حالة مزرية وهي تطأطىء الرؤوس في التراب ، ولاحظ ايضاً نضوب اللبن واختفاء محجنة واخيراً شاهد عاصفة تهب

---

(١) الدكتور فاضل عبدالواحد ـ عشتار ومأساة تموز ـ ص ١٥٢ ، ١٥٣ .

(٢) المصدر نفسه ـ ص ١٥٤ .

على حظيرته فلا تبقي لها اثراً[٣] .

وبعد ان انتهى دموزي من سرد حلمه الى اخته اشفقت الاخيرة عليه وراحت تواسيه لأن حلمه « لا ينبىء بالخير » على حد قولها . ومن ثم بدأت بتفسير بعض جوانبه ، فقالت لأخيها دموزي : ان القصب الذي رآه يرتفع من حوله يرمز الى شقاة سيظهرون قريباً لمهاجمته . واما القصبة التي رآها تقف وحيدة وقد حنت رأسها فانها امه التي تحنو عليه اشفاقاً لما سيحل به . ثم قالت اخته اما القصبة التي ابتعدت عن الاخرى التي كانت الى جانبها فانها نذير « بأننا نحن الاثنين (اي دموزي واخته) سنفترق عما قريب » واخيراً فقد حذرته اخته كشتن ـ انا بأن الشقاة وهم شياطين كاللا من العالم السفلي ربما انقضوا عليه في اية لحظة . وازاء ذلك قرر دموزي ان يهرب الى المروج ليختبىء بين الاشجار والنباتات[٤] .

---

(٣) ان الاسطورة تقول ان الإله دموزي ـ تموز ـ زوج الالهة انانا ـ عشتار ـ التي عزمت على الذهاب الى العالم السفلي ـ عالم الاموات ـ والذي تسيطر عليه اختها (ايرشكيجال) . لما وصلت عشتار الى هناك فزعت اختها من رؤيتها وخافت ان تعكر عليها الجو في عالم الاموات . فامرت الشياطين بسجنها في عالمها مما جعل الآلهة في العالم العلو يحزنون كثيراً على آلهة الخصب والحياة ـ عشتار ـ ويتدخلون لإنقاذها من اختها واخيراً وافقت اختها (ايرشكيجال) على ان يحل محلها بديل فوقع الاختيار على الإله تموز زوجها وذلك لعدم اكتراثه بما حل لها في عالم الاموات ومن هنا بدأت ماساة الإله تموز الذي يستنجد باخته لتفسير الحلم الذي وقع له قبل ان تخرج زوجته الالهة عشتار من العالم السفلي .

(٤) المصدر نفسه ـ ص ١٢٢ ـ ١٢٣ .



مسلة حجرية عليها نحت بارز يمثل الالهة عشتار بزي الهة الحرب وهي تحمل اسلحتها وتقف على الاسد ، حيوانها المفضل (من تل بارسبا ، القرن الثامن قبل الميلاد) .

(عشتار ومأساة تموز)

قصص الخليقة

الإله مردوخ

والقصب يرتبط بنشوء الحياة في بلاد سومر وبدء الخليقة كما سنرى .

ففي قصة الخليقة المعروفة « بقصة اريدو » والتي كشفت الواحها في نهاية القرن الماضي عند موقع ابو حبة (سپار قرب اليوسفية) تبدأ القصة بالقول (لم يكن قد بُني بيت مقدس ، ولا بيت للآلهة قد بُني في مكان مقدس ، ولم يكن قد نبت قصب ولم تخلق شجرة ، وكانت جميع الاراضي بحراً .. وكانت العين المائية في البحر (ينبثق منها الماء) وكأنه من انبوب ثم شيدت اريدو وبُني الايزاكيلا ـ معبد في بابل) . وفعلًا تعد مدينة اريدو اليوم اقدم المدن العراقية في جنوب العراق حيث استوطنت خلال حقبة عصر العبيد .

كما تبين القصة نفسها ان الإله مردوخ خلق البشر من طين حيث اخذ طيناً ووضعه في قصبة واخرجه منها وهكذا خلق البشر . وهذا دليل على وجود القصب قبل خلق الانسان في قصة اريدو واخراج مردوخ للطين من القصبة التي نعرف عن اعتدالها وكونها حتى الآن مضرب المثل بذلك . وان العراقي القديم ادرك اهمية انتصاب قامة الانسان وكونه الفارق المهم الذي يميزه عن الحيوانات . وعثر على لوح في موقع بابل الذي يجعل النص « آنو » خالق السماوات التي يجعلها الاول في الخلق وبعدها خلق « ايا » وبعد ذلك خلق « ايا » الاهوار والغابات[1][•] .

وفي ملحمة « الانوما ايليش » « عندما في الاعالي ... » ولم تذكر السماوات باسمها الحالي ، تصف الملحمة الشعرية الحقبة التي مرت قبل

---

(١) الدكتور سامي سعيد الاحمد ـ مجلة التراث الشعبي ـ العدد الرابع ١٩٨٧ ـ ص ١٤٨ .

(•) وعن اعتدال القصبة في الشعر الشعبي لدى عرب الاهوار البيت الاتي :

بـعـد ويـاي مـا صـدگ وعـدلـك
چثير اظهر من عيـويك وعـدلك
ابعجد الگصب لو حطـك وعدلـك
سنه او تطلع الحنيـه ذيج هيـه

خلق اي شيء ..

لا كوخ قصبي كسته الحصران (البواري)
لا ارض ظهرت بين الاهوار ..
فقط آبسو « المياه العذبة »
وتيامات « المياه المالحة »
وميمو « السحب »

يمتزجون فيما بينهم ليكونوا جسماً هيكلياً واحداً يسوده الارتباك المحاط بجو مائي كئيب وكان لا بد من معجزة إلهية فجاءت المعجزة ..

ان البابليين يقولون ان إلههم مردوخ (المعروف لدى السومريين باسم انليل) هو الذي اخترع النظام والعالم والبشر . فقد ركب عربته العاصفة وتسلح بالبرق وبعاصفة الفيضان وحطم ودحر الفوضى المشوهة المكونة من وحوش التنين والافاعي الضخمة ، بعد ذلك حوّل اهتمامه الى خلق سماء جديدة وتثبيت الشمس والقمر والنجوم في مداراتها المناسبة ثم مضى بعد ذلك ليصنع العالم .

« لقد بنى سترة « منصة » من القصب على سطح الغبار المياه ثم خلق وصبه حول المنصة » .

وهذا بصورة مختصرة هو كيفية خلق عرب الاهوار اليوم للجزر الاصطناعية (جباشات) او (جبايش) التي يقيمون عليها بيوتهم القصبية . في النهاية قام مردوخ / انليل كما يدعوه السومريون بالتأكد من وجود كائن يمنح التقدير لمن يستحقه فقال « سوف انشىء متوحشاً وسيكون اسمه (الانسان) بالتأكيد سوف اخلق المتوحش الانسان وسيكون مكلفاً بخدمة الآلهة حتى يتمتع الآلهة بالرفاهية وهكذا اتى الانسان الى العالم[٢] .

وهنا يجدر بي ان اضع امام القارىء بعض منتخبات من قصة وقصص شعرية اخرى نقلها الدكتور و. ل كسنغ في كتابه « الألواح السبعة للخليقة » للمقارنة بينها وبين ما ذكرته عن هذه المنطقة .

---

(٢) كافن يونك ـ العودة الى الاهوار ـ ترجمة ضياء شكارة ـ ص ٣٢ .

١ - « لم تكن سماء فوقنا » .

٢ - « ولم تكن ارض تحتنا » .

٣ - لكن الإله القديم ابسو خلقهما .

٤ - وكانت الالهة كاوس (تيامات) اماً للسماء والارض .

٥ - ثم امتزجت مياههما بعضها ببعض .

٦ - لم تكن هناك حقول ولا ازهار .

٧ - حيث لم يكن بعد في الوجود احد من الآلهة .

٨ - « انت ايها النهر خلقت لنا جميع الاشياء » .

٩ - لما أنشأتك الآلهة العظام .

١٠ - انما ألبست ضفافك حلّة الرخاء .

١١ - اختار ايا (ملك العمق) بيته في وسطك .

١٢ - « اما بيت الآلهة المقدس ، فلم يكن بعد قد بني في الارض المقدسة » .

١٣ - اذ لم ينبت القصب ولم تنبت الاشجار .

١٤ - لم يكن هناك عمق ولم تبنَ مدينة اريدو .

١٥ - كانت الارض كلها بحر .

١٦ - اذذاك تحرك البحر .

١٧ - فبنيت مدينة اريدو واي ساجل .

١٨ - واتخذ الإله لوجال دول ازاجا مدينة اي ساجل الواقعة في وسط العمق مسكناً له .

١٩ - ثم وضع مردوخ القصب على وجه الماء .

٢٠ - ونثر التراب على جوانب ذلك القصب .

٢١ - لكي يهيىء للآلهة المساكن التي تهواها افئدتهم .

الابيات [١١ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨] ان الحياة انما ظهرت اول مرة في وسط تلك الاهوار العذبة (العمق ، آبسو) حيث نما القصب في تلك المستنقعات [٦ ، ١٣] فبنيت اول مدينة واول معبد وهما اريدو ومعبدها القديم . واخيراً نرى في الابيات [١٩ ، ٢٠ ، ٢١] وصفاً موجزاً لعملية

احياء الاراضي التي بدىء فيها في تلك المنخفضات وذلك باستخدام القصب والتراب لانشاء ضفاف حول مساحات معينة من الاراضي المغطاة بالمياه ثم زرعها بعد جفافها بطريقة الري السيحي ففي داخل هذه الاراضي المسيجة اقيمت معابد الآلهة ومساكنهم[٣] .

واخيراً فقد قيل في المعنى الحرفي لبلاد السومريين انها تعني « ارض سيد القصب »[٤] كما سمي القصب سيد نبات الهور[٥] .

ذيچـــه　　مضـــايفـــهـــم　　تلـــوح
وريحـــة　　گـــهـــاويـــهـــم　　اتفـــوح
هـــذولـــي　　اهلنـــا　　اوي　　المـــروح

(٣) وليم ويلكوكس ـ بين عدن والاردن ـ ترجمة احمد سوسة ومحمد الهاشمي ـ ص ٥٤ ، ٥٥ .
(٤) طه باقر ـ مصدر سابق ـ ص ١١ .
(٥) فلانين ـ الحاج ركان ـ ص ٥٣ .

كما ذكرنا سابقاً ان قصص الخليقة والملاحم والاساطير والسحر في العراق القديم اشارت الى بيئة الاهوار بوضوح . فان الآلهة عندما خلقت في السماء والارض شرعت في خلق النهرين الخالدين ـ دجلة والفرات ـ ومن ثم القنوات فالاهوار .

فلا غرابة اذن من ورود لفظة الاهوار وكوخ القصب ونباتات القصب والبردي وهي مصطلحات اصبحت مرادفة لمعنى الحياة في الموروث الادبي في العراق القديم .

وكما قلنا سابقاً ان قصة الخليقة البابلية المعروفة باسم (الاينومااليليش) ذكرت القصة « ان ليس هناك كوخ قصب او هور » وهذا دليل على قدم الاهوار في جنوب العراق(٦) .

يتضح من هذا ان المدن السومرية المنتشرة في الجنوب والتي كانت تمتد من اور جنوباً حتى مدينة نيبور شمالاً كانت ذات صبغة بطائحية ـ برغم تطورها حضارياً ـ حيث كانت الاهوار تحيط بها من كل جانب والدليل على ذلك ان السهول الصحراوية الممتدة بين نهر دجلة والفرات في هذه المنطقة لم يزل اكثر مواقعها يسمى حتى اليوم بالهور كهور الدلمج وهور الزهرة وهور الجاموس وهور عفك في جوار نيبور وهور لفتة في جوار اوروك وهور الكطية قرب لارسا(٧) .

الإله انكي

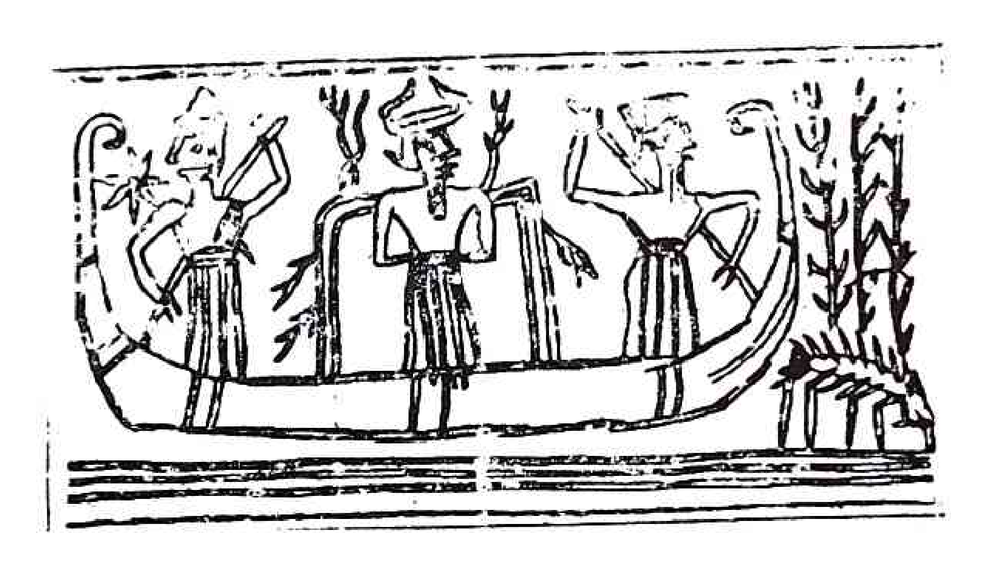
ويعرف انكي بكونه الإله الذي بحوزته « النواميس الالهية » المبدعة لأسباب الرخاء وفنون الحضارة وهناك اسطورة سومرية تعرف بين المختصين باسطورة « انكي ونظام الكون » تتحدث عن قيام هذا الإله برحلة الى اجزاء العالم المعروفة آنذاك لنشر اسباب الرخاء والتمدن . وقد كانت سومر اول بلد يباركه الإله . وتذكر الاسطورة انه بعد ان انتهى انكي من رحلته بدأ بتنظيم شؤون الارض والانهار والبحار . فملأ دجلة والفرات بالماء العذب وبالاسماك

---

(٦) الدكتور سامي سعيد الاحمد ـ مجلة التراث الشعبي ـ العدد الرابع ١٩٨٧ ـ ص ١٤٨ .

(٧) الدكتور احمد سوسة ـ مصدر سابق ـ جـ ١ ص ١١٣ .

واقام غابات القصب في الاهوار . ثم خلق المحراث ليفيد منه الناس في الزراعة واليه يعزى ايضاً خلق الفأس والآجرّ ونمو الغابات في الجبال وتكاثر الحيوانات . وبموجب هذه فان الإله انكي وضع لكل ما خلق من اسباب الرخاء في عهدة الهة معينة لتتولى الاشراف وتتحمل المسؤوليات بين الآلهة وكأن الكون في ذلك كله اشبه ما يكون « بدولة نظمتها يد ادارية قديرة »[1] .



الإله انكي وهو يتجول في منطقة الاهوار في قارب يشبه المشحوف العراقي المستعمل حالياً في الاهوار ويشاهد في هذا النقش الإله انكي واقفاً في وسط القارب وقد نبع من كتفيه المجريان وعلى ضفافهما نبات الغلة . وهناك فلاحان يجدفان وهما واقفان الى جنبي الإله وبيد كل منهما مجذاف طويل (مردي) . وتظهر نباتات القصب في الاهوار والاسماك تحوم فيما بينها حول القارب[2] .

(١) الدكتور فاضل عبدالواحد علي ـ مصدر سابق ـ ص ٦٣ ـ ٦٤ .
(٢) الدكتور احمد سوسة ـ مصدر سابق ـ جـ ١ ص ٤٣٤ .

حولة الإله انكى فى الأهوار



الاله انكي اله المياه ، هو الثالث من مجموعة الالهة الخالقة وهو اله مياه الغمر التي تدعى بالسومرية « ابسو » وقد نعت باله الحكمة واليه عزي تنظيم الارض ومقومات حضارتها من ظواهر طبيعية وثقافية .



الاله « ايا » اله المياه يتجول على سفينة في منطقة الاهوار

« حضارة وادي الرافدين ـ جـ ١ ص ٤٣٢

تعويذة

وهناك تعويذة لـ (دودة وجع السن) رغم انها قديمة العهد فان اللوح الذي وصلنا قد اعيدت كتابته خلال العصر البابلي الحديث وهو عبارة عن تعويذة تخفف من آلام وجع السن .. وتبدأ التعويذة بالخليقة . فتذكر خلق الإله « آنو » للسماء التي انبثقت منها الارض ومن الاخيرة خلقت الانهار وكون القنوات قد كونت الهور الذي خلق دودة وجع السن . فالخليقة هنا وضعت متسلسلة وكون السماء هي الاكثر قدماً خلقها الإله « آنو » وان العناصر الاخرى قد خلقت من بعضها البعض . ولكن القصة هذه لم تذكر خلق الانسان والحيوان . إلا ان طلب الدودة من الإله شماش السماح لها بأن تحل في اللثة (دون شك لثة الانسان) يجعل الافتراض بكون الانسان قد خلق على الاقل قبل خلق دودة وجع السن امراً وارداً .

هذا فضلاً عن ان اكتشاف قرابين من السمك في الهياكل يوحي بأن لها علاقة بعبادة انكي الذي كان المعبود الاعلى في اريدو وفي الادوار التاريخية[1] .

خارطة الاهوار القديمة

اشتملت خارطة الاهوار في العصور القديمة التي ورد ذكرها في سفر التكوين على ثلاث مجموعات هي :

١ ـ الاهوار البابلية .

٢ ـ الاهوار الكلدانية .

٣ ـ اهوار سوزيانا .

وقد حدد وليم ويلكوكس « اهوار سوزيانا » في المنطقة الواقعة على مجرى دجلة الحديث والتي تمتد باتجاه العمارة والقرنة . فقد كانت عبارة عن بحيرة واسعة من المياه العذبة تعرف باسم بحيرة سوزيانا وهذه التفاصيل لمجرى دجلة تؤيدها مستويات الاراضي الواقعة على طول المجرى ويؤيدها

---

(١) ديفيد وجوان اوتيس ـ مصدر سابق ـ ص ٢٦٠ .

بلاد آشور
بغداد
عيلام
نهر دجلة
الكوت
كربلاء
بابل
الكوفة
نهر الفرات
الأهوار البابلية
شوشة
واسط
نهر الكرخا
أهوار سوزيانا
الأهوار الكلدانية
أريدو
القرنة
أور
نهر الكارون
المحمرة
البصرة
الزبير
الخليج العربي

خارطة
الأهوار في العصور القديمة
التي ورد ذكرها في سفر التكوين

١/٠٠٠ر٢٠٠

الفرق في مقطع النهر بين شمالي مدينة الكوت وبين جنوبيها[1] . وهذا ما اطلق عليه الدكتور حسن الخياط اسم القسم الشرقي من الاهوار في التاريخ القديم وذكر ان بقاياها الآن يطلق عليه تسمية هور الحويزة .

كما عرف القسم الغربي باسم الاهوار الكلدانية[2] . فالزوار الاوربيون الذين مروا بها اشاروا الى مواقعها من خلال الآثار التي وجدوها هناك .. فديلافال الذي زار الاهوار في القرن السابع عشر عندما سافر شرقاً من البصرة الى حلب ذكر في ملاحظاته : « على اليمين تقع البحيرة الكلدانية . رأيت على الارض اصدافاً بحرية كثيرة تضيء من داخلها كأنها اللؤلؤ . كان بعضها صحيحاً وبعضها مكسوراً . تساءلت كيف وصلت الى هذه المسافة البعيدة عن البحر . رأيت ايضاً قطعاً قيرية كثيرة متناثرة هنا وهناك التي تنبعث في هذه التربة عندما يغطيها الماء في بعض اوقات السنة . لقد اخذت قطعة منها للذكرى . كما اخذت بعض الاختام وقطعاً من الرخام الاسود عليها كتابة مسمارية .

اما جون جورج تايلور (نائب القنصل البريطاني في البصرة عام ١٨٥٣) والذي قام باستكشاف اجزاء منها ـ اي من الاهوار الكلدانية ـ حيث وجد فيها طبقات رصاصية ملفوفة وموضوعة في اوعية الموتى وقد كتبت عليها صلوات وادعية بواسطة المراقم ـ ويقول الخبراء : ان هذه الكتابات تعود الى القرن السادس بعد الميلاد وباللغة المندائية التي يتكلم بها الصابئة[3] .

كما ان الواح الاختام الاسطوانية التي عثر عليها في اهوار المجموعة الاولى حدد مواقع اهوار بابل او الاهوار البابلية[4] .

---

(١) وليم ويلكوكس ـ مصدر سابق ـ ص ٤٦ .
(٢) الدكتور حسن الخياط ـ مصدر سابق ـ ص ٥٢ .
(٣) كافن يونك ـ مصدر سابق ـ ص ٥٨ .
(٤) ابراهيم جدوع ـ مصدر سابق ـ ص ٢٧ .

الجاموس

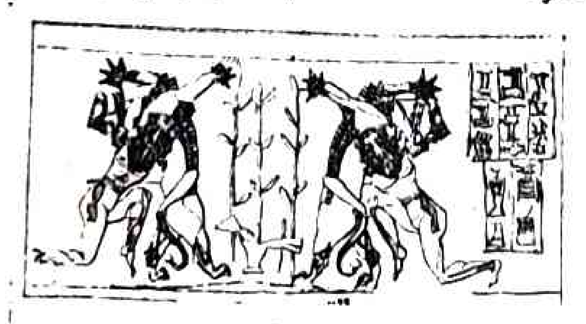
وتدل الاكتشافات الاخيرة على ان الجاموس يكثر في منطقة الاهوار من جنوبي العراق اليوم كان موجوداً في اهوار ومستنقعات جنوب العراق منذ اقدم الازمنة في حالته الوحشية ثم دجن في منتصف الالف الرابع قبل الميلاد .

وكان الجاموس الوحشي من الحيوانات المرعبة التي كان يخافها السكان اكثر من خوفهم من الاسود والثيران الوحشية وتشاهد في كثير من النقوس السومرية القديمة صور لأبطال اسطوريين انصاف آلهة وهم يصرعون الجاموس الوحشي ومن اقدم هذه النقوش نقش يشاهد فيه البطل الاسطوري (گلگامش) الذي تردد اسمه في ملحمته المشهورة وتكرر تصويره على الالواح والاختام لأعماله البطولية في مصارعة الاسود والجاموس وهو يقاتل الجاموس الوحشي . كما يشاهد في نقش آخر يرجع الى العهد السومري الاكدي يمثل البطل الاسطوري نفسه گلگامش وهو يسقي الجاموس من كأس ينبجس منها مجريان يمثلان دجلة والفرات . وقد كرر المنظر على النقش بغية التنسيق الفني والتناظر وتشاهد على الارض التي يقف عليها البطل والجاموس المياه والحصى مما يشير الى ان المنظر يقع في منطقة الاهوار . ويعتقد ان هذا النقش يمثل هبة المياه ونعمتها على حياة البشر والحيوان . ولعله يمثل قوة البطل گلگامش على ترويض الجاموس الوحشي وتدجينه . ومما لا شك فيه ان الجاموس كان موجوداً في منطقة الاهوار قبل ان يظهره السومريون الفنيون على اختامهم والواحهم بزمن طويل ويعتقد انه كان اول الحيوانات الوحشية التي انقرضت في جنوبي العراق حيث اختفى ذكره بوصفه حيواناً وحشياً بعد منتصف الالف الثالث قبل الميلاد[1] .

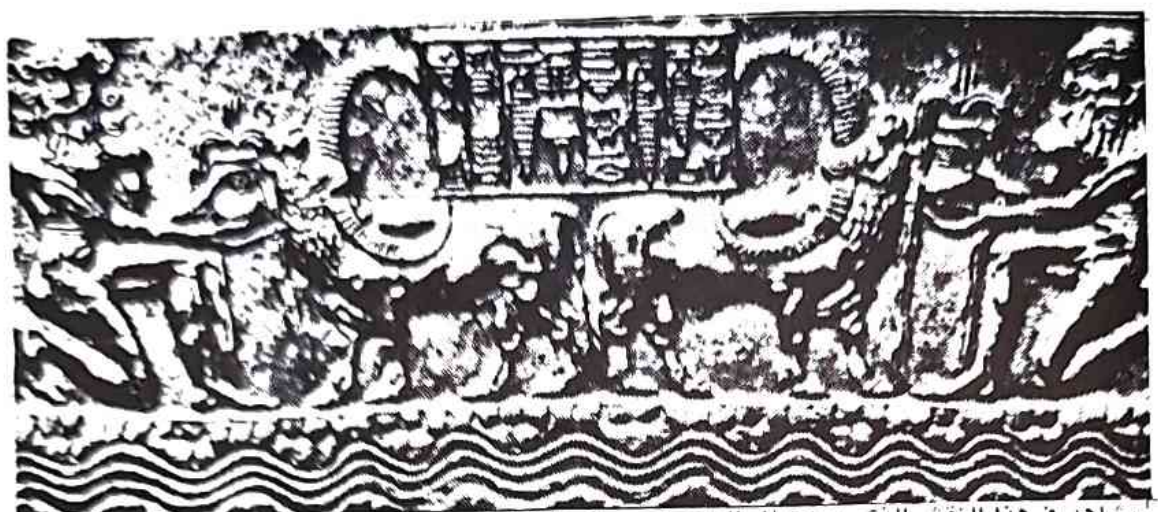
گلگامش يصارع الجاموس والاسود



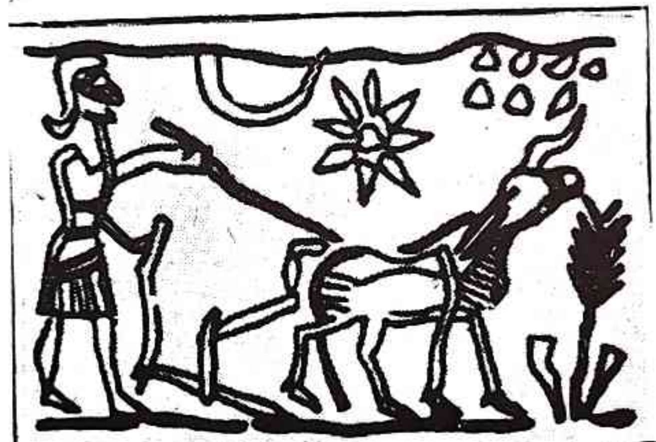
(حضارة وادي الرافدين)



(١) الدكتور احمد سوسة ـ حضارة وادي الرافدين ـ ص ٤٠٧ .



يشاهد في هذا النقش الذي يرجع الى العهد السومري الاكدي البطل الاسطوري كلكامش وهو يسقي الجاموس من كاس ينبجس منه مجريان يمثلان دجلة والفرات . وقد كرر المنظر على النقش . ونشاهد على الارض التي يقف عليها البطل والجاموس المياه والحصى مما يشير الى ان المنظر يقع في منطقة الاهوار . ويعتقد ان النقش يمثل هبة المياه ونعمتها على حياة البشر والحيوان وخاصة الى الجاموس الذي يعيش في الماء .



منظر لعملية الحراثة باستخدام حيوان واحد هو اشبه بالجاموس ويقوم بهده ،ـسية شخص واحد .



كلكامش يصارع جاموسين وحشيين والى جانبيه الاناء الفوار

(حضارة وادي الرافدين)

المشحوف

اما المشحوف فهو قارب خفيف يستعمله سكان الاهوار في تنقلاتهم المائية وهو مستطيل الشكل وضيق بحيث لا يستطيع المرء ركوبه إلا اذا مد رجليه في قعره وهو يمسك بطرفيه لضمان التوازن خشية انقلابه . يصنع المشحوف من الواح خشبية ومن قطع خشبية محفورة ومطلية من الخارج بالزفت (القار) وتصنع احسن المشاحيف في منطقة « الهوير » الواقعة على نهر الفرات يصنعها اناس متخصصون توارثوا هذه المهنة عن اجدادهم منذ اقدم العصور، والمشاحيف تدار بأعمدة طويلة من القصب او من (الجنى) تعرف بالمرادي ويفضل ملاحوها دائماً طريقة دفعها بالمرادي على طريق الغرف إلا اذا كانت المياه عميقة الغور لانها اسرع سيراً وأقل جهداً ويستطيع الملاح (الدافوع) ان يقطع في مشحوفةفي اليوم الواحد خمسين او ستين ميلًا بكل سهولة وفي الاهوار مسالك مائية يسلكها عرب الاهوار في تجوالهم بين جزيرة واخرى وبين اجزاء الهور المختلفة لا يعرفها سواهم .

والمشحوف من اهم مقتنيات عرب الاهوار التي لا يمكن ان يستغني عنها اي بيت من بيوتهم . ففي المشحوف يتنقل ساكن الهور لصيد الاسماك والطيور وفي المشحوف يتجول بين منابت القصب والبردي لنقل العلف لماشيته وفي



المشحوف يحمل منتوجاته لبيعها في قرى عالمه البطائحي وفي المشحوف ايضاً يتنقل بين قرية واخرى واحياناً من بيت الى آخر .

وهذا المشحوف نفسه كان يستعمله السومريون في مستوطنهم البطائحي في جنوب العراق . اذ صوروه على نقوشهم التي ترجع الى اقدم الازمنة . ومن الدلائل الملموسة على ذلك النموذج المصغر للمشحوف الذي عثر عليه مع مجاذيفه في المقبرة الملكية في اور وهو طبق الاصل للمشحوف الذي يستعمله عرب الاهوار في الوقت الحاضر . والنموذج هذا وهو يشاهد اليوم في المتحف العراقي ببغداد مصنوع من الفضة يبلغ طوله قدمين وفيه خمسة مقاعد وفي الوسط مسند مقوس لمظلة تحمي الراكب من حرارة الشمس او المطر وقد عثر على المجاذيف في المواقع المعدة لها . ويعود هذا النموذج الى اوائل عصر السلالات اي حوالي منتصف الالف الثالث قبل الميلاد وقد عثر مع هذا النموذج على نموذج آ خر من النحاس وهو في حالة محطمة مفتتة .

واقدم ما وصل الينا من نقوش تحمل صوراً للسفن السومرية القديمة هي النقوش المقرونة بالآلهة والملاحم السومرية . ففي نقش على احد الاختام السومرية يشاهد الإله « انكي » إله المياه وهو يتجول في منطقة الاهوار في جوار (اريدو) على ظهر قارب شبيه بالمشحوف المستعمل في الاهوار اليوم[1] .

هذه صورة نموذج مصغر لزورق مصنوع من الفضة عثر عليه مع مجاذيفه في المقبرة الملكية في « اور » يرجع تاريخه الى منتصف الالف الثالث قبل الميلاد . وهو نسخة طبق الاصل تماما للمشحوف الذى يستعمله سكان الاهوار في الوقت الحاضر في جنوبي العراق كما يتضح من صورته ادناه . والنموذج معروض الان في المتحف العرقي .





وهذا هو « المشحوف » الذي يستعمله سكان الاهوار حاليا في تنقلاتهم في منطقة الاهوار في جنوبي العراق وهو طبق الاصل تماما لنموذج القارب السومري المثبت اعلاه ، كان يستعمله السومريون قبل اكثر من خمسه الاف عام في مستوطنهم البطائحي في جنوبي العراق .

---

(١) احمد سوسة ـ حضارة وادي الرافدين ـ جـ ١ ـ ص ٤١٢ ، ٤٩٦ .

دجلة والفرات
وأثرهما في تكوين البطائح

لقد وصف الجغرافيون العرب دجلة والفرات من منبعهما حتى مصبهما فقد ذكر ابن خرداذبه (المتوفى في حدود ٣٠٠ هـ) في كتابه « المسالك والممالك » بقوله « مخرج دجلة من جبل آمد وتمر جبال السلسلة وتستمد من عيون كثيرة من نواحي ارمينية ثم تمر ببلد ومن ثم تحمل السفن والاطواف وتستمد من الزابين والنهروان والصراتين وتصب في البطائح ثم تصب في دجلة الأبلّة ثم تصب في البحر الشرقي [ومخرج الزابين من جبال ارمينيا ويصبان في دجلة يصب الكبير بالحديثة والصغير بالسن .

ومخرج النهروان من جبال ارمينيا يمر بباب صلوى ويسمى هنا تامرّا ويستمد من القواطيل فاذا صار بباجِسْترى سمي النهروان ويصب في دجلة اسفل جبُل .

ومخرج الثرثار من الهرماس ويمر بالحضر ويصب في دجلة] » .

ثم يقول ابن خرداذبه « ثم تمر دجلة وسط مدينة بغداد ثم تمر بواسط الى ان تصب في البطائح ومقدارها نيّف وستون ميلًا ثم تخرج فتفترق فرقتين فرقة تمر الى البصرة وفرقة اخرى تمر الى ناحية المذار ثم يصب الجميع الى البحر . ومقدار مسافة دجلة منذ ابتدائها الى منتهاها ثماني مائة ميل ونيّف .

ومخرج الفرات من قليقلا ويمر بأرض الروم ويستمد من عيون كثيرة ويصب فيه ارسناس نهر شمشاط ويجيء الى كمخ ويخرج على ميلين من مَلَطيّة ويجيء الى جبليا حتى يبلغ الى سُمَيساط فيحمل من هناك السفن والاطواف ويجيء حتى يبلغ السواد فينشعب منه انهار في سواد بغداد ويصب في دجلة وبعضه يمر في الكوفة فيخترق سوادها ثم يصب في دجلة ايضاً اسفل المدائن .

[ومخرج الخابور من رأس العين ويستمد من الهرماس ويصب في الفرات بقرقيسيا ومخرج الهرماس من عين الذهبانة من ارض حران ويصب في الفرات

اسفل الرقة العوجاء] »[١] .

وقد وصف المقدسي المتوفى عام ٤٠٩ هـ في كتابه « احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » دجلة والفرات بقوله : « فأما دجلة فانها عين تخرج من تحت رباط ذي القرنين عند باب الظلمات باقليم اقور فوق الموصل ثم يلقاها عدة أنهار منها الزاب الى ان يلقاها الفرات وشعب النهروان ببغداد .

وأما الفرات فانه يخرج من بلد الروم ثم يتقوس على اقليم اقور ويتشعب اليه الخابور ثم يدخل العراق ويتبطح خلف الكوفة ويلقى دجلة منه اربع شعب »[٢] .

اما ابو الحسن المسعودي المتوفى عام ٣٤٦ هـ صاحب كتاب « مروج الذهب ومعادن الجوهر » فقد ذكر ان دجلة تخرج من بلاد آمد من ديار بكر من اعين بلاد خلاط من ارمينية ويصب اليها نهر سريط وسائر ما يخرج من بلاد اردن وميا فارقين وغير ذلك من الانهار كنهر دومنا والخابور الخارج من بلاد ارمينية ومصبه في دجلة من بلاد ماسورين وسيلون من بلاد فردى وبازندى وباهمداء من بلاد الموصل وهذه الديار ديار بني حمدان وليس هذا الخابور خابور النهر الذي يخرج من مدينة رأس العين من اعينها ويصب في الفرات اسفل مدينة قرقيسيا ثم تمر دجلة بمدينة بلاد الموصل ويصب اليها نهر الزاب وهو من بلاد ارمينية وهو زاب الاكبر بعد الموصل وفوق حديثة ثم يصب فيها زاب آخر فوق مدينة السحرة يأتي من بلاد ارمينية واذربيجان ثم ينتهي الى مدينة تكريت وسرّ من رأى ومدينة السلام فيصب اليها الخندق والصراة ونهر عيسى وهي الانهار التي تأخذ من الفرات وتصب في دجلة ثم تخرج دجلة عن مدينة السلام فينصب فيها انهار كثيرة مثل النهر المعروف بدالى ونهر بين النهروان مما يلي بلاد حرحرانا والسيب ونيل النعمانية فاذا خرجت دجلة من

---

(١) ابن خرداذبه - المسالك والممالك - لا يوجد تاريخ طبع الكتاب - ص ١٧٤ - ١٧٥ ، ص ٣٣٣ . ابن خرداذبه ابو القاسم عبيدالله بن عبدالله المعروف بابن خرداذبه .

(٢) المقدسي - احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم - ط ٢ - ليدن ١٩٠٦ - ص ٢٠ . المقدسي هو محمد بن احمد بن ابي بكر تولد ٣٦٦ هـ - ٩٤٧ م ، توفي ٤٠٩ هـ - ٩٩٠ م .

مدينة واسط تفرقت في انهار هناك اخر الى بطيحة البصرة مثل بردود اليهودي ومسامي والمصب الذي ينتهي الى القطر وفيه تجري اكثر سفن البصرة وبغداد وواسط . فمقدار مسافة جريان دجلة على وجه الارض نحو من ثلثمائة وقيل اربعمائة » .

« واما الفرات فمبدؤه من بلاد قاليقلا من ثغور ارمينية من جبل هناك يدعى افردحس على نحو يوم من قاليقلا وان الفرات اذا توسط ارض الروم تحلبت اليه مياه كثيرة منها يخرج مما يلي بحيرة المازرمون وليس في ارض الروم بحيرة اكبر منها وقيل اكثر من ذلك طولًا وعرضاً تجري فيها السفن وتنتهي الى الفرات الى جسر منبج وقد اجتاز تحت قلعة سُمَيساط وهي قلعة طين ثم ينتهي الى ماليس وهي نصفان موضع حرب اهل العراق واهل الشام ثم ينتهي الى الرقة والى الرحبة وهيت والانبار ويأخذ منه انهار مثل نهر عيسى وغيره مما ينتهي الى مدينة السلام فيصب في دجلة وينتهي الفرات الى بلاد سوار وقصر ابن هبيرة والكوفة والجامعين واحمد اباد والفرس والطفوف ثم ينتهي غايته الى البطيحة التي بين البصرة وواسط فيكون مقدار جريانه على وجه الارض نحواً من خمسمائة فرسخ وقد قيل اكثر من ذلك . وقد كان الفرات الاكثر من مائه ينتهي الى بلاد الحيرة ونهر هاتين الى هذا الوقت فيصب في البحر الحبشي حينئذ في الموضع المعروف بالمحف في هذا الوقت وكانت تتقدم الى هناك سفن الصين والهند ترد الى ملوك الحيرة . فلما انقطع الماء عن ذلك الموضع انتقل البحر براً فصار البحر في هذا الوقت على مسيرة ايام كثيرة ومن رأى النجف واشرف عليه تبين له ما وصفنا وكثر رمل دجلة العوراء فصار بينها وبين دجلة في هذا الوقت مسافة بعيدة وصارت تدعى ببطن حرحى وذلك من جهة مدينة فارس من اعمال واسط الى « نوقاء » الى نحو بلاد السوس . فاذا كان الماء في نحو من ثلاثين سنة قد ذهب بنحو من تسعمائة ميل ، فانه يسير ميلًا في قدره في سنة واذا وجد الماء سبيلًا منخفضاً وانصباباً وسع بالحركة وشدة الجرية لنفسه فاقتلع المواضع من الارض من ابعد غاياتها . وكلما وجد موضعاً متسعاً من الوهاد ملأه في طريقه

من شدة جريته حتى يعمل بحيرات وبطائح ومستنقعات بذلك البلاد »[٣] .

اما ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ صاحب كتاب « معجم البلدان » فقد ذكر دجلة بقوله : « مخرج دجلة من اصل جبل بقرب آمد عند حصن يعرف بحصن ذي القرنين وهي هناك ساقية وكلما امتدت انضم اليها مياه جبال ديار بكر ثم يمتد الى ميا فارقين والى حصن كيفا ثم الى جزيرة ابن عمر ويحيط بها ثم الى الموصل ثم الى تكريت وقبل ذلك ينصب فيه الزابان ومنها يعظم ثم الى بغداد ثم الى واسط ثم الى البصرة ثم الى عبادان ثم يصب في البحر واذا انفصل عن واسط انقسم الى سبعة انهر عظام تحمل السفن منها : نهر ساس ونهر العراق ونهر دقلة ونهر جعفر ونهر ميسان ونهر هوفري ونهر الهمامة ثم تجتمع هذه الانهر وما ينضاف اليها من الفرات كلها قرب مطارة (وهي قرية بينها وبين البصرة يوم واحد) وهناك يعظم دجلة وماء دجلة من اعذب المياه واخفها واكثرها نفعاً لأن مجراه من مخرجه الى مصبه في العمارات وفي ايام الصيف ينفد كله باستعماله في نواحي البصرة وواسط فلا يبقى منه شيء هذا ما ورد عن دجلة في كتب العرب »[٤] .

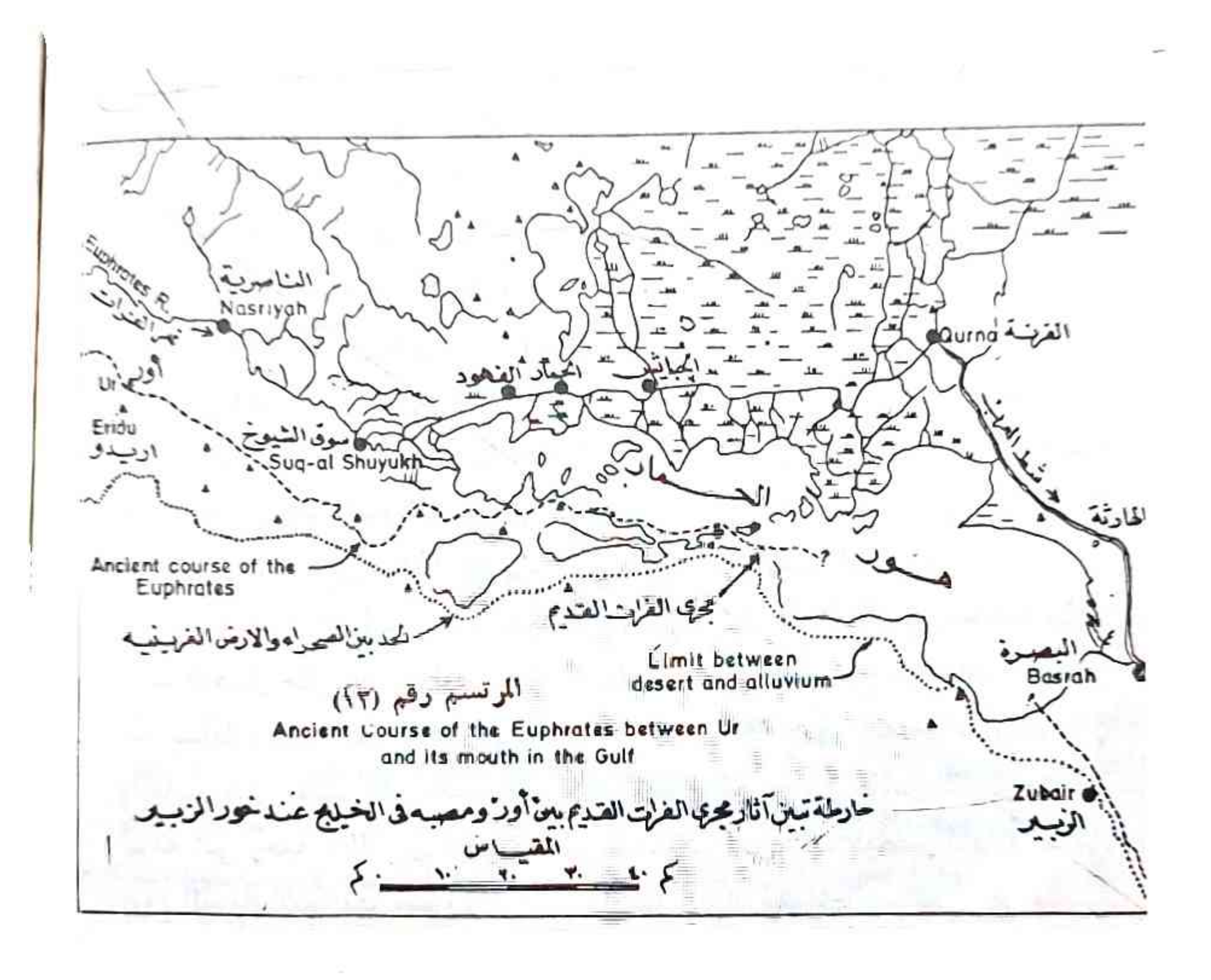
« ومخرج الفرات فيما زعموا من ارمينية ثم من قاليقلا قرب خلاط ويدور بتلك الجبال حتى يدخل ارض الروم ويجيء الى كمخ ويخرج الى ملطية ثم الى سميساط ويصب اليه انهار صغار نحو نهر سبخة ونهر كيسوم ونهر ديصان والبليخ حتى ينتهي الى قلعة نجم مقابل منبج ثم يحاذي بالس الى دَوْسر الى الرقة الى رحبة مالك بن طوق ثم الى عانة ثم الى هيت فيصير انهاراً تسقي زروع السواد منها نهر سورا وهو اكبرها ونهر الملك وهو نهر صرصر ونهر عيسى بن علي وكوثا ونهر سوق اسد والصراة ونهر الكوفة والفرات العتيق ونهر حلة بني مزيد هو نهر سوير فاذا سقت الزروع وانتفع بمياهها فمهما فضل من ذلك انصب الى دجلة منها يصب فوق واسط ومنها يصب بين واسط والبصرة فتصير دجلة والفرات نهراً واحداً عظيماً عرضه نحو الفرسخ يصب في بحر

---

(٣) المسعودي ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ المكتبة العصرية في بغداد ـ ص ٨٦ ، ٨٧ . المسعودي هو ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفى ٣٤٦ للهجرة .

(٤) ياقوت الحموي ـ معجم البلدان ـ المجلد العاشر ـ ص ١٨٩ .

الهند »[٥] .



المرتسم رقم (١٣)

Ancient Course of the Euphrates between Ur and its mouth in the Gulf

خارطة تبين آثار مجرى الفرات القديم بين أور ومصبه في الخليج عند خور الزبير

(٥) ياقوت الحموي ـ مصدر سابق ـ المجلد السادس ـ ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ . ياقوت الحموي : هو ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي تولد ٥٧٥ هـ ـ ١١٧٩ م . توفي ٦٢٦ هـ ـ ١٢٢٩ م .

انهار البطائح

ان الحديث عن انهار البطائح ليس بالامر اليسير وذلك لأن البطائح تحتوي على انهار كثيرة ومستنقعات وآجام وان هناك تبدلات كثيرة في مجال الانهار الامر الذي يؤدي الى اختفاء انهار قديمة وبروز اخرى جديدة . وهناك مصادر تذكر انهار البطائح دون تحديد اسمائها . كمان ان هناك انهاراً تصب في البطائح بحيث تشكل مصادر مهمة من مياهها .

ومن هذه الانهار (نهر الصلح) وكان هذا النهر يأخذ مياهه من الضفة الشرقية لنهر دجلة عند مدينة « فم الصاح » ويجري نحو الجنوب الشرقي حيث يصب مياهه في البطائح . وقد وصف ياقوت الحموي فم الصلح بقوله : « نهر كبير فوق واسط وينسب اليه جماعة من المحدثين وهو الآن خراب إلا قليل » . وجاء ذكره ايضاً في مراصد الاطلاع . ويقع فم الصلح في نقطة تقع على بعد سبعة فراسخ من واسط . ويستنتج الدكتور احمد سوسة ان نهر الصلح والقرية المسماة باسمه كانا يقعان على الضفة الشرقية من نهر دجلة على بعد خمسة فراسخ (زهاء ٢٤ كم) من قرية « نهر سابس » جنوباً وعلى بعد سبعة فراسخ (زهاء ٣٤ كم) من واسط شمالاً .

ومن الانهار الاخرى نهر المبارك اذ يقع الى الشمال من نهر الصلح وعلى بعد فرسخين منه . وكان هذا النهر يأخذ مياهه من الضفة الشرقية لنهر دجلة عند قرية المبارك ويجري نحو الجنوب الغربي ويصب مياهه في البطائح ويقع هذا النهر كما اورد الطبري وابن الجوزي على بعد تسعة فراسخ من واسط اي حوالي ٢٧ كم جنوبها[1] .

ومن الانهار نهر ابان كان يأخذ مياهه من الضفة اليسرى اي الشرقية لنهر دجلة ثم يجري نحو الجنوب الغربي ويصب في البطائح . وقد ذكر الطبري هذا النهر عند حديثه عن حركة الزنج وذلك عندما توجه قائد صاحب الزنج سليمان جامع الى هذا النهر وقد ورد اسم النهر في مصادر تاريخية وجغرافية

---

(١) قد ذكر الحموي في معجمه ـ في المجلد السابع ص ٣٧٨ ما نصه : « المبارك اسم نهر بالبصرة احتفره خالد بن عبدالله القسري والمبارك ايضاً نهر وقرية فوق واسط بينهما ثلاثة فراسخ . والمبارك قرية بين واسط وفم الصلح » .

لاحقة مما يدل على وجوده بعد تلك الحقبة[٢] .

اما نهر السيب فقد حفره الحجاج بن يوسف وكان يأخذ مياهه من الضفة اليمنى اي الغربية لنهر دجلة ثم يجري نحو الغرب ويصب مياهه في البطائح . ويذهب الدكتور أحمد سوسة الى انه هور العقرة الحالي الواقع في شرق قلعة سكر .

وعن كلامه على حركة الزط يذكر الطبري نهر بردودا الذي يحمل من دجلة وكذلك العروس ونهر ابان الذي يصب في البطيحة وكذلك نهر بردوى وهناك انهار اخرى تخرج من دجلة بعد جنوب واسط وهي الغراف وجعفر وميسان . وكذلك نهرا الصلة ويرقة ويوصفان بأن موارد كبيرة تأتي منهما حيث ذكر قدامة بأن خراجهما سبعون الف درهم وانهما ينتجان الشعير والارز والورق ويعدان ضمن كورة كسكر وقد وصف قدامة نهر الصلة بقوله « انه من اعمال واسط وان الخليفة المهدي امر بحفره »[٣] .

وقد ذكر ياقوت الحموي مجموعة من الانهار اهمها « نهر الزط وهو من الانهار القديمة بالبطيحة »[٤] .

ونهر الجنب حيث ذكر اصحاب السير انه كان بكسكر قبل خراب البطيحة نهر يقال له الجنب وكان عليه طريق البريد الى ميسان ودستميان والاهواز في جنبه القبلى . فلما تبطحت البطائح سمي ما استأجم من طريق البريد آجام البريد[٥] .

كما ذكر المسعودي مجموعة من الانهار تصب في بطيحة البصرة بقوله : « فاذا خرجت دجلة من مدينة واسط تفرقت في انهار هناك أخر الى بطيحة البصرة مثل بردود اليهودي ومسامي والمصب الذي ينتهي الى القطر »[٦] .

واما اقامة السدود والقناطر فقد اقترن اسمها بالوالي خالد بن عبدالله

---

(٢) كما ذكر الحموي ايضاً اسم نهر أبا قائلاً « أبا نهر كبير في البطيحة » المجلد الاول – ص ٦٥ .

(٣) ابراهيم جدوع – مصدر سابق – ص ٤٠ – ٤٣ .

(٤) الحموي – معجم البلدان – المجلد الثالث – ص ٣٤١ .

(٥) الحموي – مصدر سابق – المجلد الاول – ص ٥٤ .

(٦) المسعودي – مروج الذهب ومعادن الجوهر – ص ٨٧ .

القسري الذي اهتم بشؤون الزراعة واصلاح الاراضي والري . فأمر بحفر عدد من الانهار في منطقة السواد منها نهر المبارك والصلح في منطقة واسط واقام سداً بالقرب من مدينة الكوت الحالية وذلك لرفع منسوب المياه للاستفادة منه في المشاريع الزراعية . كما ذكر البلاذري انه اقام القناطر والسدود في منطقة السواد وجفف المستنقعات في البطائح . فاضاف على ما يذكر فلهاوزن « بذلك مساحات واسعة الى الاراضي الزراعية هناك »[٧] .

البطائح في العصر العربي الاسلامي

يطلق اسم البطائح على ذلك المنخفض الذي كان يتعرض لغمر المياه بشكل منتظم وقد اطلقها الجغرافيون العرب خلال العهد العباسي على المستنقعات الواقعة في القسم الاسفل من الفرات بين الكوفة وواسط شمالًا والبصرة جنوبياً . انها غالباً ما تسمى البطائح (جمع بطيحة) وهي تشمل بطائح البصرة وبطائح الكوفة وبطائح واسط[١] .

وقد اجمع اعلام الفكر الجغرافي العربي على ان البطائح تكونت بسبب الفيضانات وانبثاق السدود وذلك في العام السادس او السابع الهجري اي في حدود عام ٦٢٦ ميلادية (أو) ٦٢٧ ميلادية .

فيروي ابو الفرج قدامة بن جعفر (٢٦٦ هـ / ٨٨٠ م) في كتابه (الخراج وصنعة الكتابة) بقوله : « وسبب البطائح المبطحة في ارض السواد ان ماء دجلة كان منصباً الى دجلة المعروفة بالعوراء التي هي اسفل البصرة في مسافة مستقيمة المسالك محفوظة الجوانب فلما كان ملك قباذ فيروز (قباذ الاول ٤٨٨ - ٥٣١ م) انبثق في اسفل كسكر بثق عظيم فأغفل امره حتى غلب ماؤه واغرق كثيراً من ارضين عامرة كانت تليه وتقرب منه فلما ولي انوشروان ابنه (كسرى الاول ٥٣١ - ٥٧٩ م) امر بذلك الماء فزحم بالمسنيات حتى عاد بعض تلك الارضين الى عمارة ثم كانت سنة ٦ من

---

(٧) مصطفى عباس الموسوي - مصدر سابق - ص ٣٠٨ .

(١) ابراهيم جدوع - مصدر سابق - ص ٢٤ .

الهجرة (٦٢٧ م) وهي السنة التي بعث فيها النبي (ﷺ) عبدالله بن حذافة السهمي الى كسرى ابرويز (كسرى الثاني ٥٩٠ ـ ٦٢٨ م) زاد الفرات زيادة عظيمة ودجلة ايضاً لم ير مثلها فانبثقت بثوق كبار فجهد ابرويز ان يسكرها فلم يقدر للماء على حيلة فورد المسلمون العراق وشغلت الفرس بالحروب فكانت البثوق تنفجر ولا يلتفت اليها يعجز الدهاقين على سدها فعظم ماؤها واتسعت البطيحة وعظمت »(م٢)(٢).

اما مساحة البطائح فقد اختلف المؤرخون في تحديدها . فالمسعودي مثلاً يقدر ابعادها بخمسين فرسخاً في الطول ومثلها في العرض (حوالي ١٥ ميلاً انكليزياً) في حين ان ابن رسته يقدرها بثلاثين فرسخاً في الطول وعرضها مثل ذلك (٩٠ ميلاً) . وعلى كل فان مساحة البطائح كانت تتغير من سنة الى اخرى لأنها كانت تتوقف على مقادير الفيضانات وعلى مساحة الاراضي المستصلحة من البطائح(٢) .

وقد حدد الجغرافيون العرب البطائح خلال الحقبة الاسلامية وفقاً لقربها من المدن كالبصرة والكوفة وواسط .

واعطاها هذا التحديد كذلك عدد من الجغرافيين المتأخرين (كالقزويني في كتابه آثار البلاد واخبار العباد) ، والبغدادي في كتابه (مراصد الاطلاع) .

---

(٢) ابو الفرج قدامة بن جعفر ـ كتاب الخراج وصنعة الكتابة ـ ص ٣٤٠ ، ٣٤١ .

(●) راجع :

(١) ابن رسته (المتوفى في ٢٩٠ هـ ـ ٩٠٣ م) في كتابه الاعلاق النفيسة ـ ص ٩٢ ـ ٩٣ .

(٢) المقدسي (المولود في ٣٦٦ هـ ـ ٩٤٧ م) في كتابه احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ـ ص ١١٩ .

(٣) المسعودي (المتوفى في عام ٣٤٦ هـ ـ ٩٢٧ م) في كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ ص ٨٦ .

(٤) البلاذري (المولود في اواخر القرن الثاني الهجري) في كتابه فتوح البلدان ـ ص ٢٩ ، ٢٩٢ .

(٥) الحموي (٥٧٥ هـ ـ ٦٢٦ هـ ـ ١١٧٩ ـ ١٢٢٩ م) معجم البلدان ـ المجلد الثاني ـ ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ .

(٢) الدكتور احمد سوسة ـ مصدر سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢١٥ .

ويذكر سهراب ان نهر دجلة كان يرتبط بالبطائح عند قرية تدعى « القُطْر » ومن ثم يمر بأربعة اهوار اولها هور بحصى وبعدها زقاق قصر نابت ثم هور بكمص وبعده زقاق قصب نابت ثم هور بصريانا وبعده زقاق قصب نابت ثم هور المحمدية ثم يأتي بعد ذلك نهر ابو اسد . وهذا يعني ان القطر هو موضع في بداية البطائح وترتبط الاهوار الاربعة التي ذكرها ابن سرابيون بطرق نهرية صالحة للملاحة كما هو واضح من خط سير الملاحة بين بغداد والخليج العربي عبر البطائح غير ان بعض المصادر لم تشر الى القطر وموضعه في البطائح ومن هذه المصادر احسن التقاسيم للمقدسي . وقد ذكر القطر كذلك كل من ابن رسته والمسعودي وذكر ان السفن التجارية لكل من بغداد والبصرة وواسط كانت تسير فيه . اما ياقوت الحموي فقد حدد موضع القطر بأنه موضع في جانب البطائح بين البصرة وواسط . مما سبق نتبين ان موضع القطر جنوب مدينة واسط وهو بمثابة بداية لخارطة البطائح ويحتمل انها حدثت في بداية تكوينها او اتسعت في اثناء السيطرة الساسانية على العراق(٣) .

وان الجغرافيين العرب ربما اخطأوا في تقديرهم عندما قالوا ان البطائح قد تكونت اول مرة في العهد الساساني وانها قد حلت محل قرى عامرة وارض متصلة . والاصح انها قد اتسعت اتساعاً كبيراً في القرون الاخيرة من العهد الساساني بسبب حدوث عدة فيضانات اكتسحت السدود يضاف الى ذلك الاهمال العمراني والاداري في العهد الساساني لهذه السدود وعدم المباشرة باصلاحها رغم محاولة هؤلاء تصريف الماء وشق بعض القنوات . واعتماداً على اقوال الجغرافيين والكتّاب العرب في القرن الرابع الهجري فان البطائح الواقعة على المجرى الاسفل لنهر دجلة قد تزايدت بشكل ملحوظ ومن اهم الاسباب التي ادت الى ذلك انبثاق البثوق واهمال المسؤولين في اصلاحها وتكرر الفيضانات فهذا هو السبب الاول وهو السبب الجغرافي .

اما السبب الثاني فهو اضطراب الاوضاع الداخلية الامر الذي ادى الى اهمال مشاريع الري . ففي الايام الاخيرة من حكم قباذ فيروز (٤٨٨ ـ ٥٣١ م) زادت مياه دجلة والفرات زيادة كبيرة فتكسرت السدود اذ

---

(٣) ابراهيم جدوع ـ مصدر سابق ـ ص ٣٨ ـ ٣٩ .

ادى عدم القيام باصلاحها الى اغراق كثير من الاراضي العامرة في اسفل دجلة جنوب واسط وجاء بعد ذلك ابنه كسرى (٥٣١ - ٥٧٩ م) فأعاد عمران بعض النواحي . إلا ان زيادة كبيرة لمياه دجلة والفرات حدثت في السنة السادسة والسابعة للهجرة (٦٢٨ م) فانكسرت السدود فعجز كسرى ابرويز (٥٩٠ - ٦٢٨) ان يسدها رغم محاولته بناء عدد من السدود لكن الماء طغى على العمران والزروع .

وهناك سبب ثالث وهو السبب الاداري والسياسي حيث انشغل الفرس بعد مجيء الاسلام في صد حركات التحرر العربية فلم يلتفت الاداريون الى مسألة تصليح او ترميم السدود ولذلك عظمت البطائح واتسعت[٤][*] .

ولأهمية رأي المهندس عبدالجبار الفارس في تكون البطائح نورده نصاً « ان المؤرخين الذين بحثوا موضوع البطائح والباحثين قديماً وحديثاً جلّهم ان لم نقل كلّهم جعلوا لتكوين البطائح سبباً يكاد يكون واحداً حيث ارجعوا العلة في تكوينها الى بثوق حدثت في ضفاف النهر في حالة فيضان كاسح واهملت فاستفحل امرها فتكونت عنها هذه البطائح . فقد ذكر في فتوح البلدان ان البطائح حدثت في عهد الملك الساساني ابرويز الذي لم يقم باصلاح ما حدث في البثوق وارجاع المياه الى مجراها ثم زاد في اتساعها دخول العرب الى ارض العراق وانشغال الساسانيين في الحروب . ومثل هذا الخبر اورد ياقوت الحموي في معجمه عند ذكره للبطائح ولم يبتعد عن هذا المعنى الباحثون امثال جرجي زيدان في كتابه (التمدن الاسلامي) والاستاذ الشيخ علي الشرقي في مجلة لغة العرب[٥] واخذ ايضاً بهذا الرأي الدكتور المهندس احمد سوسة في كتابه « وادي الفرات » دون ان ينبه الى ما في هذا الادعاء من خطأ على اننا لم نعدم من نوّه بقدم البطائح فقد جاء في مجلة لغة العرب « ان

---

(٤) ابراهيم جدوع - مصدر سابق - ص ٣١ ، ٣٢ .

(*) بثق : البثق كسر شط النهر ليتدفق النهر وقيل منبثق الماء وجمعه بثوق وقد بثق الماء وانبثق عليهم اذا اقبل عليهم . (ابن منظور - لسان العرب - جـ ١٠ - ص ١٣) .

(٥) نشر الشيخ علي الشرقي مقالته « البطائح الحالية » في مجلة لغة العرب - الجزء السابع من السنة ٤ - كانون الثاني ١٩٢٧ م ص ٣٧٥ - ٣٨٤ .

البطائح قديمة ولا يعرف المحققون قدمها إذ وجد العلماء ذكرها في الرقم المسماري »[٦] .

ان حدوث البطائح التي نحن بصدد البحث عنها ليست كما ذكر المؤرخون والباحثون من ان ذلك كان في زمن حكم الملك الساساني ابرويز ولا هي نتيجة لبثوق جاءت عن فيضان كاسح انما يرجع زمن تكوينها في زمن سحيق الى تلك الحقبة التي انحسر فيها ماء البحر عن المنطقة الجنوبية للعراق وترك منها مصباً لتجمع مياه الرافدين الفائضة وهي في طريقها الى البحر في انتظار دورها للوصول الى المسارب .

هناك عدة اسباب ينجم عنها تكوين البطائح واهم هذه الاسباب هي :
اولاً طبيعة الارض من وجهة مستواها اذ ان مئات الاميال التي تقطعها مياه الرافدين قبل وصولها الى هذه المنطقة تستلزم وصول المياه اليها وقد تركت اكثر حمولتها من الغرين الامر الذي جعل انحدار هذه المنطقة بالنسبة الى المصب انحداراً ضعيفاً . وانحدار كهذا من شأنه ان لا يساعد على سرعة تصريف المياه في اوانه .

ثاني الاسباب يرجع الى طبيعة القطر من حيث المواسم الزراعية وارتباطها بمياه النهر . من المعلوم ان فيضانات انهر العراق تحدث عادة في شهر نيسان او مايس وفي هذا الوقت من العام تكون المزارع الشتوية الحنطة والشعير التي هي قوام زراعة القطر قد تم نضجها ولم تعد بها حاجة الى الماء نهائياً وفي الوقت نفسه تكون المزروعات الصيفية لم يحن اوانها بعد وعندها تكون الارض قد فقدت قابلية الامتصاص بينما تكون الانهر قد جاءت بأعلى تصريفها الذي يرتفع احياناً الى اربعة عشر الف متر مكعب في الثانية يصل معظمه الى هذه المنطقة قبل وصوله الى البحر وكميات كهذه ترفع من مستوى مياه الخليج وعندها تحتاج الى وقت مناسب لتنحدر الى البحر بينما تقف المياه المعاكسة الحادثة عن ظاهرة المد حاجزاً يعرقل سرعة الاندفاع وبذلك يعطي الى المياه المتقدمة فرصة الانبطاح والانتشار هذا عدا التأثير الذي يحدثه انصباب نهر كارون العمودي السريع في شط العرب والحواجز التي

---

(٦) مجلة لغة العرب ـ المجلد السابع ـ ١٩٢٧ ـ ص ٣٧٩ .

يكونها بما يقذفه من طمى في المسالك المؤدية الى البحر والتي تقوم بمعالجتها وازاحة ما يمكن منها ادارة الميناء . وعامل آخر نشير اليه هو السدود الموضعية التي يقيمها المزارعون ويستهدفون من وراء اقامتها الحصول على مناسيب من الماء اعلى مما هي عليه للاستفادة منها في الارواء السيحي او عرقلة انسياب الماء كما حدث في نهر الحفار فان سد نهر الحفار قدم الى زراع منطقة سوق الشيوخ فرصة زراعة بعض المساحات الضيقة بالرز في الوقت الذي زاد في مساحة (سطحية) واضاف اليها مساحة تبدأ من (ابو جداحة) الى قضاء السماوة حيث ترك منها ارضاً خالية إلا من مراع يستفاد منها في رعي الاغنام في ايام معدودات .

وكذلك الحال في اراضي ـ الحصونة ـ من اراضي اللواء نفسه وفي هور الجبسة ضمن لواء الديوانية . في مثل هذه الامكنة تقام السدود في طريق الماء بحجزه ورفع مستواه للاستفادة منه بوساطة انهر فشق من البطيحة وتمتد الى الاراضي البعيدة عن الاغمار لأغراض زراعية وهذا يؤدي الى توسع رقعة البطيحة . ومن الاسباب التي تساهم كذلك في تكوين البطيحة وتموينها بالمياه ما ينشأ عن زراعة الرز حيث يحتاج هذا النوع من المزروعات بصورة عامة وما يسمى بالشتال بأنواعه والعليانة و « العنبر » و « المولاني » من انواعه بصورة خاصة الى غمر الاراضي بطبقة غرينية ليؤثر ذلك في جودة المحصول وهذا يحتاج الى اكبر كمية من الماء يمكن ارسالها من المياه المحلة بالغرين وفضلات هذه المياه تزيد في الكمية المرسلة الى المبازل وكثرة المياه تمون البطيحة ايضاً . فهذه الاسباب مجتمعة نشأ عنها وجود البطائح وعلى الاخص تلك المعروفة في الوقت الحاضر (بهور الحمّار) . ومما هو جدير بالذكر ان الاهوار في دلتا العراق ليست واحدة وليس اكثرها في منطقة واحدة . فهناك اهوار (بطايح) اخرى واسعة غير بطيحة الحمّار كهور « ابي نجم » الذي يحتل مساحات واسعة من الاراضي ضمن لواءي الحلة والديوانية وهور (السناف) في العمارة والهور المتشكل عند مؤخر ناظم « البدعة » في اراضي لواء المنتفك هذه كلها تكونت نتيجة لقسم من العوامل التي اثبتناها آنفاً . ويلاحظ ان البطائح تتعرض للتغيير والتبديل تبعاً للتبدلات التي تطرأ على الانهر فعندما كان يجري الفرات مندفعاً في وادي شط الحلة الحالي

سبب ذلك تكوين ما يعرف بـ « هور عفك » ولما بدّل الفرات مَجراه في غضون القرن التاسع عشر واخذ مجراه الحالي في شط ـ الهندية ـ حل الجفاف بأراضي عفك وتكون الهور في اراضي قضاء ـ الهندية ـ بعيداً عن مجرى النهر حوالي عشرين كيلومتراً ثم بعد تطورات حصلت في ضفاف ـ شط الهندية ـ وفي الحقيقة ابتعد عن موقعه في قضاء الهندية ليشكل هور ابي نجم جنوبي الكوفة . اما البطيحة ـ هور الحمّار ـ فان ما يجري عليها من تبدل وتغير لم يكن تبدلًا اساسياً يصيب منطقة الهور كلها او جزءاً اكبر منها بل ان ما يلحقها من تبدل لا ينال إلا قسماً من اراضي الضفاف في بعض جوانبها وهذه المساحات متى ما اقتطع منها جانب اما لعمرانه عن طريق اقامة السدود لصيانتها واستغلالها او لأن تبدلًا طرأ على احد المجاري الكبيرة التي تمون البطيحة بالمياه في هذه الحالات فقط تكون البطيحة قد حصل في جانب منها الجفاف ولكن المياه اما ان تكون قد توسعت في جانب آخر يقبل المياه المنبطحة واما ان تكون البطيحة قد حصلت على زيادة في اعماقها اذا لم يكن قد تهيأ لها الانتشار . ونحن اذا استنطقنا التاريخ واستوحينا الآثار نجد ان هذه المنطقة ـ منطقة البطيحة ـ كانت في زمن ما قبل الميلاد تمتد من الشمال في نقطة تقع بين موقع الكوت والعمارة وتمتد نحو الجنوب الشرقي تاركة موضع قبر العزير عن يمينها ثم تصل القرنة وتمتد حتى الزبير لتتوحد مع مياه بقية الانهر في طريقها الى هور عبدالله ثم الى الخليج ومن الضفة اليمنى تمتد ضفاف البطيحة في المنطقة شرقي واسط نحو الجنوب الشرقي على مسافة تقرب من خمسين كيلومتراً عن مدينة « لاكش » ، ثم الى مدينة « تلو » حيث يتصل بضفة النهر مقابل « اريدو » ويمتد بعد ذلك مع ضفة النهر بخط يبدأ اتجاه الجنوب الغربي حتى يصل منطقة موقع الزبير . اما عند الفتح فقد كان بعض التغيير قد طرأ على الجهة الغربية من البطائح عندما شق فرع ميسان واديه وسط الاهوار وكون ضفافه التي وقعت البطيحة عند اليمنى منها في حالة حياتها وفي العهود الاسلامية عندما كان مجرى دجلة شرقي دجلة الحالي قرب المشهد المعروف (بعبدالله بن علي) كانت هذه المنطقة من امتداد البطائح .

ولما كانت الانهر التي تتفرع من دجلة تخترق كورة كسكر كانت اراضي المنتفك العليا تشكلَ الضفة الشمالية للبطائح وبعد تغلب فرع ميسان « دجلة الحالي » على بقية الفروع وعلى شط الغراف حوالي القرن السادس عشر وسحبه الكميات الكبيرة بفرع دجلة كانت منطقة العمارة الجنوبية مركز الثقل للبطائح . وعندما يبلغ تفريغ الرافدين ذروته من الزيادة تمتد البطائح من جهة نهر دجلة من منطقة المجر الصغير وتشكل اراضي الضفة اليمنى لقضاء قلعة صالح وتختلط بمياه هور الحمار الممون من مجار آخر فتكون ضفةالبطيحة الشرقية موازية للطريق بين العمارة والبصرة مارة في القرنة واراضي ناحية الهارثة حتى تقف عند طريق سكة قطار بغداد ـ البصرة عند المعقل وكانت قبل احداث سكة القطار هذه تمتد الى هور عبدالله بعد ان يترك البصرة على ضفتها اليسرى والزبير على اليمنى اما من الجهة الغربية الشمالية فان البطيحة تبدأ بتأثير ما ينصب فيها من مياه الغراف في منطقة لا يزيد بعدها على عشرة كيلومترات عن ناظم البدعة مشتملة على اراضي الصديفة واراضي بني زيد وبني سعيد في قضاء الشطرة ومشتملة كذلك على اراضي ناحية البو صالح تشكل امتداد هور الحمار . واما المساحات التي تغمر من شط الفرات والتي هي الجبهة الشمالية الشرقية للبطائح فهذه تبدأ من فيض نهر الفرات في البطيحة بعد ان يغمر المنطقة بين السماوة وبين هويرة « ابو قداحة » عند بلدة الناصرية ، بعد ان تكون هذه المياه قد غمرت الاراضي التي كانت مجرى شط الفرات القديم ـ الكار ـ وشملت اراضي الضفة اليمنى لنهر الفرات عبر ذنائب الانهر بمعدل ٢٥ كيلومتراً بعيداً عن مجرى الغراف من الرفاعي الى الشطرة ثم الناصرية حيث تصب هذه في شط الناصرية تاركة سوق الشيوخ بشكل جزيرة منقطعة إلا من طريق يتراءى متماوجاً وسط اللجة يصل سوق الشيوخ ببلدة الناصرية ثم ينغمر بعد ذلك في هور الحمار ، بينما تكون الفروع المنشعبة من نهر دجلة من ضفتها اليسرى قد غمرت الاراضي بين العمارة والبصرة وصبت في دجلة قرب قصبة القرنة عن طريق نهر السويب القديم وربما بلغ السيل في حالة الفيضان منطقة التنومة مقابل بلدة البصرة كما حدث في فيضان ١٩٤٦ م وبذلك تكون المياه قد بلغت ذروة تبطحها فتكون المساحة المغمورة في هذه البقاع بلغت ما يقرب من ثلاثة ملايين مشارة وفي هذه الحالة

تكون البطائح ـ هور الحمار ـ قد عادت بحراً متسع الارجاء تتلاطم امواجه وعندها نرى بعض التلول والمرتفعات المنتشرة هنا وهناك . وقد احتشد فوقها السكان لتلك المناطق بكل ما عندهم من امتعة بسيطة وما لديهم من حيوانات اهمها الجاموس والبقر والخيل والاغنام وقد ربطت الى تلك التلول والمرتفعات القوارب الصغيرة وهي الوسائط الوحيدة لنقلهم واتصالهم بالمدن المحيطة بهم وترى السفن الكبيرة تمخر عباب البطائح محملة بالبضائع حيث تتخذ البطائح طريق نقل واتصال نهري دجلة والفرات بين البصرة والمدن الاخرى الواقعة على ضفاف الانهر فاذا انقضى موسم الفيضان بعد شهر حزيران عادة بدأت هذه المياه تنصب وتتصرف الى البحر وحينئذ يبدأ انحسارها تدريجياً وتبدأ الاراضي بالجفاف ولا ينتهي شهر ايلول إلا واكثر المساحات لمنطقة البطائح قد جفت ويبست ولم يبق فيها من المياه إلا مسارب ضحلة وتكون الارض قد اكتست بثوب من نسيج الحشائش حيث تكون مراعي للاغنام في فترة من العام[٧] .

المدن البطائحية

ان الحديث عن هذا الموضوع يرتبط ارتباطاً مباشراً بالتغيرات الجغرافية وحالات الفيضانات ومدى استصلاح الارض من البطائح بحيث تصبح ارضاً زراعية تنشأ عليها القرى وكذلك يرتبط بتبدل مجاري كثير من الانهار ووجود قرى ومدن في البطائح امر وارد نظراً لأن كثرة المياه فيها يجعل منها منطقة زراعية ، فضلاً عن انها مناطق نهاية نهري دجلة والفرات التي تجلب الرواسب الغرينية والطينية لترسبها في مصباتها او الاجزاء الدنيا من مجراها[١] .

من اهم المدن :

---

(٧) المهندس عبدالجبار الفارس ـ مجلة الاعتدال ـ الجزء السادس ـ ١٩٤٦ ص ٦٩٤ ـ ٦٩٩ .

(١) ابراهيم جدوع ـ مصدر سابق ـ ص ٤٣ .

ام عبيدة

وهي القرية التي ضمت ضريح العالم البطائحي السيد احمد الرفاعي (٥١١ ـ ٥٧٨ هـ) وان قبره لا يزال مزاراً ويقع وسط جزيرة السيد احمد الرفاعي ويتكون هذا المزار من قبة وصحن ومنارة .

ويظهر ان قرية « ام عبيدة » كانت عامرة عندما زارها الرحالة بن بطوطة في حوالي القرن الرابع عشر الميلادي (حوالي منتصف القرن الثامن الهجري) فذكرها في رحلته كما ذكر قبر السيد احمد الرفاعي[٢] .

بلاس

ناحية بين واسط والبصرة يسكنها قوم من العرب لهم خيل موصوفة بالكرم والجودة[٣] واليها ينتسب الثائر البطل المصري عرابي باشا حيث يقول « ان جده السيد صالح البلاس (نسبة الى بلاس وهي قرية صغيرة في بطائح العراق) هو اول من هبط ارض مصر من اجداده » .

وبلاس تعني بساط الشعر كما انه يوجد نهر صغير يخترق قرية الترابة يسمى بلاسا ولا بد ان هذه التسمية قد انتقل تداولها بين الناس عن طريق الوراثة او السماع . والترابة عبارة عن آكام لقرى مندرسة تقع على ضفة نهر الفرات اليسرى شمال قضاء « المدينة » بأربعة كيلومترات ولا يستبعد ان اسمها كان البلاس عندما نزح منها اجداد عرابي باشا وهبطوا ارض مصر وليس اسمها الترابة كما تسمى الآن وما يعتز به ان يكون عرابي باشا هذا البطل العظيم من ابناء قرية الترابة التي كانت تدعى بلاسا . وما يعتز به العراق ان يكون اول ثائر مصري حارب الاستعمار ونادى بحرية بلده ارض الكنانة وهو من اصل عراقي[٤] .

الابلّة

بلدة على شاطىء دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل

---

(٢) ابراهيم جدوع ـ مصدر سابق ـ ص ٤٤ .

(٣) الحموي ـ مصدر سابق ـ المجلد الثاني ـ ص ٢٥٨ .

(٤) عامر حسك ـ اهوار جنوب العراق ـ ٤٩ .

الى مدينة البصرة وهي اقدم من البصرة . لأن البصرة مصرت في ايام عمر بن الخطاب (رض) وكانت الابلة حينئذ مدينة وقيل ان التسمية جاءت زمن النبط[٥] .

بهندف

بليدة في نواحي بغداد في آخر اعمال النهروان بين باذَرايا وواسط وكانت تعد من اعمال كسكر . وغزا المسلمون ايام الفتوح بهندف وكانت لهم بها وقعة في سنة ١٦ هـ[٦] .

جاذَر

قرية من قرى واسط[٧] .

الجامِدة

قرية كبيرة جامعة من اعمال واسط بينها وبين البصرة[٨] .

جَبُّل

بليدة بين النعمانية وواسط في الجانب الشرقي كانت مدينة واياها عنى البحتري بقوله :

حنانيك من هَوْل البطائح سائراً
على خطر والريح هَوْلٌ دَبورها
لئن أوحشتْني جَبُّل وخصاصها
لما آنستْني واسطٌ وقصورها[٩]

(٥) الحموي ـ معجم البلدان ـ المجلد الاول ـ ص ٨٩ .
(٦) الحموي ـ معجم البلدان ـ المجلد الثاني ـ ص ٣١٦ .
(٧) الحموي ـ معجم البلدان ـ المجلد الثالث ـ ص ٣٤ .
(٨) الحموي ـ معجم البلدان ـ الكجلد الثالث ـ ص ٣٩ .
(٩) الحموي ـ معجم البلدان ـ المجلد الثالث ـ ص ٥١ .

الجزّارة

ناحية من نواحي البطيحة قريبة من البر توصف بكثرة السمك[10] .

جُرجين

موضع بالبطيحة بين البصرة وواسط صعب المسلك واليه ينسب الهور المتّقى سلوكه لعظم الخطر فيه ان هبت ادنى ريح[11] .

حُبيبَة

ناحية في طفوف البطيحة متصلة بالبادية وتقرب من البصرة[12] .

الحويزة

تصغير الحوزة وأصله من حازه يحوزه حوازاً اذا حصله . والمرة الواحدة حوزة وهو موضع دُبيس بن عفيف الأسدي في ايام الطائع لله ونزل فيه بحلته وبنى فيه وهذا موضع بين واسط والبصرة والاهواز في وسط البطائح[13] .

الحلة

حلة بني مزيد التي بأرض بابل على الفرات بين بغداد والكوفة وهي الآن مدينة كبيرة بأهلها وكانت تسمى الجامعين وكان اول من عمرها ونزلها سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الاسدي[14] .

دَستميسان

كورة جليلة بين واسط والبصرة والاحواز[15] .

---

(١٠) الحموي ـ معجم البلدان ـ المجلد الثالث ـ ص ٧٢ .

(١١) الحموي ـ معجم البلدان ـ المجلد الثالث ـ ص ٨١ .

(١٢) الحموي ـ معجم البلدان ـ المجلد الثالث ـ ص ٢١٤ .

(١٣) الحموي ـ معجم البلدان ـ المجلد الثالث ـ ص ٣٧٣ .

(١٤) الدكتور صباح محمود محمد ـ دراسات في التراث الجغرافي العربي ـ ص ١٨٠ .

(١٥) الحموي ـ معجم البلدان ـ المجلد الرابع ـ ص ٥٩ .

سابس

قرية مشهورة قرب واسط على طريق القاصد لبغداد منها على الجانب الغربي[١٦] .

فرات البصرة

كورة واسعة بين واسط والبصرة منها ميسان والمذار[١٧] .

فم الصلح

قرية تقع على الضفة الشرقية من نهر دجلة[١٨] .

قُرقوب

بلدة متوسطة بين واسط والبصرة والاحواز وكانت تعد من اعمال كسكر[١٩] .

كرخ ميسان

كورة بسواد العراق[٢٠] .

كسكر

كورة واسعة ينسب اليها الفراريج الكسكرية لأنها تكثر بها جداً والبط يجلب اليها لكن يجلب من اعمال كسكر وقصبتها اليوم واسط القصبة التي بين الكوفة والبصرة . ويقال ان حد كـورة كسـكر من الجانب الشرقي في آخر سقي النهروان الى ان تصب دجلة في البحر كله من كسكر فتدخل فيه على هذا البصرة ونواحيها فمن مشهور نواحيها المبارك وعبدسي والمذار وميسان

---

(١٦) الحموي ـ معجم البلدان ـ المجلد ـ ص
(١٧) الحموي ـ معجم البلدان ـ المجلد السادس ـ ص ٣٤٨ .
(١٨) الحموي ـ معجم البلدان ـ المجلد السادس ـ ص ٤٠٠ .
(١٩) الحموي ـ معجم البلدان ـ المجلد السابع ـ ص ٥٩ .
(٢٠) الحموي ـ معجم البلدان ـ المجلد السابع ـ ص ٢٣٥ .

ودستميسان وآجام البريد . فلما مصرت العرب الامصار فرّقتها . ومن اعمال كسكر ايضاً في بعض الروايات اسكافي العليا واسكافي السفلى ونفّر وسِمّر وبهندف وقرقوب[21] . ويبدو انها كانت موجودة في المنطقة قبل حدوث البطائح وانها استمرت بعد ذلك وذكر ياقوت الحموي ان اسمها كان معرباً لأن الاسم موجود وربما يرجع الى لفظ عراقي قديم[22] .

كور دجلة

اذا اطلق هذا الاسم فانما يراد به اعمال البصرة ما بين ميسان الى البحر كله يقال له كور دجلة[23] .

ماذرايا

قرية فوق واسط من اعمال فم الصلح[24] .

المبارك

قرية بين واسط وفم الصلح[25] .

المذار

في ميسان بين واسط والبصرة وهي قصبة ميسان بينها وبين البصرة مقدار اربعة ايام وبها مشهد عامر كبير جليل عظيم وقد انفق على عمارته الاموال الجليلة وعليه الوقوف وتساق اليه النذور وهو قبر عبدالله (الصحيح عبيدالله) ابن علي بن ابي طالب (رض) ويقال ان الحريري ابا محمد القاسم بن علي صاحب المقامات مات بها وقد فتحها عتبة بن غزوان في ايام عمر بن الخطاب (رض)[26] .

---

(٢١) الحموي ـ معجم البلدان ـ المجلد السابع ـ ص ٢٥١ .

(٢٢) ابراهيم عسكر ـ مصدر سابق ـ ص ٤٦ .

(٢٣) الحموي ـ معجم البلدان ـ المجلد السابع ـ ص ٢٩٣ .

(٢٤) الحموي ـ معجم البلدان ـ المجلد السابع ـ ص ٣٥٣ .

(٢٥) الحموي ـ معجم البلدان ـ المجلد السابع ـ ص ٣٧٨ .

(٢٦) الحموي ـ معجم البلدان ـ المجلد السابع ـ ص ٤٣٣ .

ميسان

ذكر البلاذري في فتوحه قال علي بن محمد المدائني كان الناس يسمون ميسان ودستميسان والفرات وابرقباذ ميسان[٢٧] .

ومن مدن البطائح الصليف التي وصفت بأنها مدينة تقع على بحيرة طولها اربعين فرسخاً (اي ما يعادل ١٢٠ ميلًا) وتتصل بالكوفة (بطيحة الكوفة) ومن مواردها الاسماك ومناخها حار ويكثر فيها البعوض[٢٨] . وقد حدد ياقوت موضعها في البطائح ويبدو ان حدودها بين الكوفة وواسط وان الصليف التي حددها ياقوت الحموي ليست تلك التي حددها الصابي حيث ان هذه المدينة قد اصبحت خراباً حسب وصف شاهد عيان رآها في القرن الخامس اذ قال بأنها في يوم ما كانت عاصمة لأمارة البطائح وان مهذب الدولة امير البطائح (٣٧٦ ـ ٤٠٨ هـ) قد بنى فيها قصراً ولكن هذا القصر كان خراباً عندما زاره الشخص المذكور وهو الصابي[٢٩] .

ومن قرى البطائح ايضاً « افاميا » وهي مدينة في آشور تدعى الآن قرية واتعة على ملتقى دجلة والفرات[٣٠] .

وقرية حسان حيث تنسب الى صاحبها حسان النبطي وقد ذكرها الطبري عندما تحدث عن حركة الزنج وحدد موقعها جنوب مدينة واسط حيث ذكر ان سليمان بن جامع قائد صاحب الزنج تقدم في جمع من اصحابه حتى وافى قرية حسان وظفر بالقرية وانتهبها واخذ خيلًا وعاد الى عسكره[٣١] .

وأما الطيب فانها من اهم بطائح واسط واكثرها عمراناً[٣٢] .

---

(٢٧)   البلاذري ـ فتوح البلدان ـ ص ٣٣٩ .
(٢٨)   المقدسي ـ احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ـ ص ١١٩ .
(٢٩)   ابراهيم جدوع ـ امارة البطائح العربية ـ ص ٤١ .
(٣٠)   الحموي ـ معجم البلدان ـ المجلد التاسع ـ ص ٣١٣ .
(٣١)   ابراهيم جدوع ـ مصدر سابق ـ ص ٤٤ .
(٣٢)   ابراهيم جدوع ـ مصدر سابق ـ ص ٤٧ .

البطائح منذ حركات التحرر العربي فصاعداً

انشغل العرب في بداية امرهم بتوجيه الجيوش ضد الساسانيين فلم يهتموا كثيراً في السنوات الاولى من حكمهم بحالة البطائح . غير ان هناك دليلًا تاريخياً على ان والي البصرة ابا موسى الاشعري (١٧ هـ - ٢٩ هـ) قد حاول ان يردم جزءاً من المستنقعات ويرد دجلة الى مجراها الاول ولكنه وجد التكاليف عالية فانصرف وتركها .

ولم يحدد الخلفاء كمية الضريبة المترتب دفعها للدولة العربية على ارض البطائح حيث اهتم الخلفاء الراشدون بأرضها اهتمامهم بالاراضي الاخرى . لقد اهتم الخليفة عمر بن الخطاب (رض) بمسألة ضريبة السباخ فقد اشترط على المقطع ان يصلح الارض التي زرعها خلال سنتين من زراعتها وإلا فانها نسترجع منه .

وقد عدّ ابو يوسف (صاحب كتاب الخراج) ارض البطائح ارضاً ميتة فيقول واما ما كان خارج ارض المدينة فهو بمنزلة الارض الميتة يحييها ويؤدي عنها حق السلطان ولو ان رجلًا من البطيحة مما ليس فيه ملك لأحد غلب عليه الماء فضرب عليه المسناة واستخرجها واحياها وقطع ما فيها من القصب فانها بمنزلة الارض الميتة . وكذلك من عالج في اجمة او من بحر او من بر بعد ان لا يكون فيه ملك لانسان فاستخرجه رجل وعمره فهو له وهو بمنزلة الموات . وقد عدّ يحيى بن آدم القرش (صاحب كتاب الخراج ايضاً) ارض البطائح والبحر اراضي غير خراجية وعدّها بموضع آخر من كتابه بأنها اراض صوافه مغيض ماء (بطيحة) وكذلك اراضي الآجام (اراضي القصب) . وقد اهتم الخليفة عثمان بن عفان(رض) ايضاً بمثل هذه الاراضي . فقد اقطع الاقطاعات والاراضي لغرض اصلاحها . اذ أقطع قسم من الاراضي الموات بالبصرة لعثمان بن العاص سنة (٢٩ هـ / ٦٤٩ م) وكان عثمان بن العاص أقطع اخوته منها ايضاً . واعاد زراعتها وعدّ الخليفة عثمان (رض) الاراضي الموات التي يقوم احد باستصلاحها ارض عشر ولا يجوز ان يوضع عليها خراج . ففي رواية ؛ انه سأل عن ارض موات في دار السلام لا يعرف لها

ارباب ولا للسلطان عليها خراج احياها رجل من المسلمين فقال « من احيا ارضاً مواتاً في غير ارض السواد كان للسلطان عليه فيها العشر » ولذلك فقد أقطع عثمان (رض) اراضي من هذا النوع في السواد لسعد وابن مسعود وخباب . وعلى هذا فقد كانت الاقطاعات الواقعة في العراق والتي تكونت بنتيجتها الملكيات الكبيرة قد تكونت في عهد عثمان فقد قال الشعبي لم يقطع الرسول الارض ولا ابو بكر وعمر وأول من أقطعها عثمان .

اما في زمن الدولة العربية الاسلامية في العصر الاموي (٤١ - ١٣٢ هـ - ٦٦١ - ٧٤٩ م) فقد اهتم عدد من ولاة العراق كزياد بن ابيه وعبيدالله بن زياد والحجاج بن يوسف الثقفي وغيرهم بهذه المنطقة واصلاح امر البطائح . ففي خلافة معاوية بن سفيان اسند امر جباية الخراج على العراق الى مولاه عبدالله بن دراج فاستخرج له من ارض البطائح ما بلغت غلته خمسة آلاف الف درهم ، وقد قام هذا الوالي بقطع الآجام (القصب) واستصلح الأرض وقام بزراعتها . وضمن ولي امر الخراج في العراق زمن الخلفاء الامويين الوليد بن عبدالملك وهشام بن عبدالملك حسان النبطي اذ قام هذا باستصلاح اراض جديدة في البطائح وأقطع سليمان بن عبدالملك يزيد بن المهلب عدة قطائع في منطقة البطائح لإحيائها .

وظهرت ملكيات واسعة في العراق خلال القرن الاول كانت من احياء الموات خاصة في البصرة والبطائح . ويبدو انه على رغم محاولات الخلفاء الامويين استصلاح اراضي البطائح في العراق بوساطة ولاتهم فيه ، فان محاولاتهم هذه توجهت نحو اجزاء من البطائح كما انها لم تكن مستمرة وذلك بسبب اضطراب الاوضاع السياسية ، ففي رواية انه في ولاية الحجاج والي الخليفتين عبدالملك والوليد على العراق تكسّرت السدود وانشغل الحجاج عنها بصد بعض الحركات المعادية للدولة الاموية ، وقدر لإصلاح السدود المكسورة ثلاثة آلاف الف درهم فاستكثر الوليد المبلغ ورفض اعتماده لهذا الاصلاح فتطوع مسلمة بن عبدالملك لإحياء الارض التي غمرتها المياه والانفاق عليها من ماله الخاص شريطة ان يمتلكها بوصفها ارضاً مواتاً لا تنطبق عليها احكام الخراج فأصلحها بعد ان انفق عليها المبلغ المطلوب وأصبح من اكبر الملاكين في المنطقة . اذ اصبح الملاكون الصغار يلجئون اليه

اراضيهم خوفاً من تعدي الجباة فظهر نظام الجاء الاراضي بأن يسجل المزارع ارضه باسم احد الكبار ليحتمي به من تعدي الحياة . وهناك محاولات قام بها الحجاج بن يوسف الثقفي اذ نظر في امر اعادة دجلة الى مجراه القديم ولكن بعض الدهاقين اشاروا عليه انه لا جدوى من اعادته الى مجراه القديم فانصرف الحجاج عن هذه الفكرة وقام خالد بن عبدالله القسري بإحياء كثير من الاراضي في البطائح واقام سداً على دجلة لرفع مناسيب المياه فيه وتحويله الى مجراه القديم ليخفف بذلك ضغط المياه عن البطائح لكن القنطرة تهدمت بعد بنائها بقليل كما حفر نهري المبارك والصلح . وكان النهر الاول يأخذ مياهه من الضفة اليسرى (اي الشرقية لنهر دجلة) عند قرية المبارك التي تقع في الجنوب الغربي ويصب مياهه في البطائح . كان لهذه الاعمال والاصلاحات التي قام بها الولاة المذكورون نتائج اقتصادية مهمة . اذ تبدلت مساحات من اراضي البطائح الى مناطق زراعية قام فيها بعد استصلاحها عدد غير قليل من القرى[1] .

أشهر مدن البطائح الحالية

المدينة (مصغّر مدينة)

ليست بمدينة وانما هي قرية كبيرة على بز الفرات الاسفل ، بين القرنة وسوق الشيوخ تكتنفها البطائح وفي ظهرها بادية العراق وجدت قبل القرن الحادي عشر ، وهي حاضرة الجزائر سابقاً وفيها مقر الامارة على ربيعة البطائح والجزائر .

وقبائل المدينة من ربيعة وهم بنو منصور ويجاورهم بنو سعد .

القرنة

انها كانت قلعة اسمها القرنة ثم صار اسمها العلية ثم استرجعت اسمها القرنة ثم نشأت قرية وصارت مدينة على بز الفرات وفي قريب منها يقترن بز

---

(١) ابراهيم جدوع ـ مصدر سابق ـ ص ٣٣ ـ ٣٧ .

دجلة ببز الفرات ويلتقي الاخوان بعد ان كانا تفارقا من جبال ارمينيا فسميت القرنة . ولم يكن لها ـ وهي قرية او مدينة ـ مؤسس معروف فقد كانت قلعة تصد الهاجمين على البصرة من جهة بغداد وحولها رهط من الجزائريين المتهيئين للدفاع ثم نشأت قرية على مفرق الطريقين ولا اعرف زمن تأسيسها وقد عمرت حتى صارت مدينة صغيرة من مدن العراق وقد ذكرها بعض الرحالين قرية صغيرة في اواخر القرن الحادي عشر[١] . وفي منتصف المسافة بين المدينة والقرنة تقع قرية الهوير على رافد صغير يسمى بالاسم نفسه يجري من الهور الى الضفة اليسرى من نهر الفرات[٢] .

العمارة

بلد نزه ومدينة من مدن العراق الزاهية ناهضة على وادي دجلة في الجانب الايسر في آخر دجلة بغداد وأول دجلة البصرة . حاضرة عامرة وهي من المدن الجديدة في العراق وموقعها من طفوف البطائح سابقاً يوم كانت دجلة تستقيم من المذار الذي هو قريب من موقعها وكانت ناحية من نواحي البطائح سابقاً عندما امتدت دجلة بين واسط والمذار . وهذه المدينة الحديثة نشأت في القرن الثالث عشر معسكراً للحامية التي ترد من بغداد لحفظ الامن في تلك الجهات وجباية الاموال الاميرية وقد اختارت الجنود النظامية السكن في هذا الموقع لنشوفة ارضه وعذوبة هوائه . فأطلق الناس على ذلك المكان اسم « الاوردي » وهي لفظة تركية معناها المعسكر ثم اطمأن اليها الناس وارباب الكسب والتجارة من البغاددة والبصريين فأنشأوا هناك عمارة ضخمة واطلق عليها اسم العمارة[٣] .

---

(١) الجزائر مجموعة جزر صغيرة اقيمت عليها القلاع في منطقة الاهوار ولعل المقصود بها الجبايش وقد وردت في الكتابات بحوالي ٣٠٠ جزيرة صغيرة تتخللها الانهار وهي تشمل منطقة الاهوار والمستنقعات الواسعة في مجرى الفرات ودجلة الجنوبي ما بين الكوفة وواسط في الشمال والبصرة في الجنوب وقد امتلات هذه الجزر والمستنقعات برواسب الانهار .

(مجلة المعلم الجديد ـ الدكتور طارق نافع الحمداني ـ ص ١٨ جـ ٣ ، ٤ ـ المجلد ٤٦ ـ كانون الاول ١٩٨٩)

(٢) الدكتور شاكر مصطفى سليم ـ الجبايش ـ ص ٢٣٣ .

(٣) للمزيد من المعلومات عن تسمية العمارة ـ راجع كتابنا « تاريخ ميسان وعشائر العمارة » ص ٩٦ ـ ٩٨ .

قلعة صالح

صالح رجل نجدي الاصل عراقي المسكن ، نال رتبة (دللي باشا) في عسكر الهايتة الذي انشأته الحكومة العثمانية سنة ١٧٢٠ هـ / ١٨٥٧ م وتولى رئاسة الجند النظامي الذي ارسلته السلطة (لتأديب) قبيلة البو محمد التي تمردت فامتنعت عن اداء الرسوم الاميرية فاندفع بمن كان معه الى (نهر المجرية) الذي يتشعب من الضفة اليسرى من دجلة ويشق مدينة المذار التاريخية وعسكر عليه ، فتسلط على الاهوار التي كان المتمردون يعتصمون بها[٤] وهي قائمة على انقاض بلد المذار الشهيرة وموقعها اليوم بين العمارة والعزير وهو بلدة ميسان الشهيرة ودجلتها دجلة البصرة ام البطائح ، وقلعة صالح في متوسط البطائح وقد كانت هذه الانحاء الى آخر القرن الثاني عشر للهجرة تابعة للمنتفك وتخضع لامارة آل سعدون ولكن في القرن الثالث عشر تنازل احد مشايخ آل سعدون لحكومة بغداد عن تلك الانحاء واسمه الشيخ عقيل .

سوق الشيوخ

من مدن البطائح الحديثة على ضفة الفرات اليمنى ، وفي جنوب الناصرية تحده الصحراء المعروفة بالشامية من الغرب والجنوب ، ويحده الفرات شرقاً وشمالاً وحوله الاهوار والبطائح . وموقعه تحت الناصرية بمسافة ٤ ساعات وفوق البصرة بـ ٢٨ ساعة .

والشيوخ هم الزعماء من آل سعدون امراء المنتفك والذي اقامه منهم الشيخ ثويني بن عبدالله بن محمد بن مانع وهو من كبار ذلك البيت واليه انتهت الزعامة وتاريخ حياته صفحة مهمة في تاريخ آل سعدون وكان زمن تأسيسه حسب ما يعيه الواعون من الطاعنين في العمر سنة ١١٧٥ في زهرة ايام الشيخ ثويني .

وقد كان يعرف بسوق النواشي في اول نشوئه . والنواشي هم من بني خيكان .

---

(٤) السيد عبدالرزاق الحسني ـ العراق قديماً وحديثاً ـ ص ١٩٣ .

الناصرية

هي اقدم مدن الفرات المعروفة اليوم وهي جالسة على ضفة الفرات اليسرى وهي من الابنية الجديدة في العراق لأن موقعها هذا وهو « ذنائب » الفرات الاسفل كان في القديم بطائح وهي مركز امارة المنتفك في الايام الاخيرة وذلك بعد انتقالها من سوق الشيوخ كما ان العثمانيين اتخذوها مركزاً لحركاتهم الادارية يوم تسلموا تلك البلاد ومن جراء ذلك اصبح اشهر اسمائها « المركز » والى اليوم لم تجف بطائحها جفافاً تاماً .

ومؤسس الناصرية هو ناصر باشا السعدون وقد احضر لتخطيطها المهندس البلجيكي « المسيو جول تلي » وذلك في عهد ولاية مدحت باشا في العراق والحجر الاول الذي وضع فيها كان لدار الحكومة وذلك سنة ١٢٨٦ هجرية فجاءت من احسن مدن العراق تخطيطاً وقد حكم فيها من آل سعدون ناصر باشا ثم ولده فالح باشا ثم فهد باشا والد رئيس الوزراء الاسبق عبدالمحسن السعدون واخيراً في اول انشاء الحكومة العراقية كان متصرف الناصرية ابراهيم بك بن خزعل باشا السعدون[٥] .

---

(٥) الشيخ علي الشرقي ـ مجلة لغة العرب ـ المجلد الخامس ١٩٢٧ ـ ص ٥٣٥ ـ ٥٣٩ .

عرب البطائح

سكن العرب البطائح ومنطقة ميسان منذ ايام الامبراطورية الآشورية ولكنهم سموا باسم الآراميين والآراميون في الدراسات الحديثة هم سكان الجزيرة العربية لذلك فسكان هذه المنطقة من العرب[١] .

وهناك اشارات لهجرة بعض القبائل العربية نحو العراق زمن ملوك الطوائف (٢٥٠ ق.م - ٢٢٦ م) حيث نزل قسم منهم الحيرة والانبار وما حوالي ذلك ويرى الاصفهاني « ان الأزد وقضاعة خرجت للعراق ايام ملك الطوائف فنظروا للعراق وعليها طائفة من الملوك وهي شاغرة » .

وما اورده ابن رسته سنة ٢٩٠ هـ ان قبائل عربية من يشكر وباهلة وبني عنبر كانت تجاور ارض ميسان في جنوب العراق قبل ان يغلبها الماء ويكون البطائح في اواخر العهد الساساني[٢] .

ويرى ابن الكلبي ان عرباً جاءوا من اليمن الى الحيرة في ايام قباذ بن فيروز واستولوا على ارض بجانبها وقاموا باحيائها وان الخلاف بين الساسانيين وبين امراء الحيرة والتنكيل بالنعمان بن المنذر جعل القبائل العربية خاصة بكر بن وائل تدخل الى الحيرة وارض البطائح ولذلك يعد انتصار بكر بن وائل في ذي قار قوة القبائل العربية في المنطقة .

وكان في بادية البصرة والكوفة وبادية الشام قبيل الفتح العربي للعراق مجموعات من قبائل الازد وبكر بن وائل وتغلب وبني اسد وكانت تقوم بغارات على الساسانيين ثم استمر تزايدها حتى انتصرت عليهم في معركة ذي قار (٦٠٤ - ٦١٠ م) فكانت هذه المعركة نقطة الانطلاق للقبائل العربية في الهجوم على السهول وظلت غاراتها مستمرة حتى فتح العراق . واصبح لهذه القبيلة نفوذ كبير حتى اضطر الساسانيون الى استرضائها ايام كسرى ابرويز (٥٩٠ - ٦٢٨ م) وسمحوا لهم بالانتشار الى مناطق اخرى ومنها منطقة

---

(١) قبيلة بكر بن وائل التي احرزت نصراً على القوات الساسانية وقد لجا الفرس الى المصانعة والمهادنة في محاولة منهم للحد من هذه الغارات المتلاحقة عليهم فتعاملوا معها وعينوا رئيسها قيس بن مسعود الشيباني حاكماً على منطقة الابلة (العوامل التاريخية لنشاة وتطور المدن العربية الاسلامية - مصطفى عباس الموسوي ص ٦٦) .

البطائح حيث انهم شكلوا قوة كبيرة كان لها دور سياسي واضح خلال المدة بين منتصف القرن الخامس ومنتصف القرن السادس الهجري واصبحوا امراء لمنطقة البطائح العربية[٣] .

وعليه فان الكثير من القبائل العربية استقرت في هذه المنطقة[*] وربما تداخلت كورة ميسان في عصر الخلافة العربية الاسلامية مع ولاية واسط والبطائح ادارياً كما تداخلت قبائلها بعضها مع البعض الآخر فسكان ميسان حسب هذا الافتراض هم امتداد لسكان واسط والبطائح وهذا ما اشار اليه الدكتور عبدالقادر المعاضيدي في كتابه (واسط في العصر الاموي) حول تباين معلومات البلدانيين المسلمين عند حدود اقاليم دجلة الجنوبية وعن اختلاف الجغرافيين في تحديد المدن الرئيسية منها ولذلك فسكان البطائح وميسان حسب هذا الافتراض عرب منذ القدم ، كما ذكر الدكتور المعاضيدي بعض القبائل العربية التي سكنت واسط والتي ربما استقر البعض منها في البطائح مثل قبائل قريش وثقيف وحريش وبني الاشعر وكلب وقضاعة[٤] .

وقد ادت الفتوحات الاسلامية في القرن السابع الميلادي الى تغييرات اساسية في المنطقة فقد فتح العراق على مصراعيه امام القبائل العربية القادمة من جزيرة العرب وصارت هذه البلاد قاعدة للتوسع في ايران والشرق ومصرت مدن البصرة والكوفة وانشأت مدن بعدها مثل واسط واصبحت هذه

---

(٣) ابراهيم جدوع – مصدر سابق – ص ٥١ .

(*) ان المنطقة كانت مألوفة لدى العرب من ناحية مهمة اخرى فقد كان النشاط التجاري الذي يتمركز في منطقة الابلة يجذب القوافل التجارية العربية الى هذه البقعة التي عرفها العرب قبل الاسلام باسم ارض الهند .
ومن المرجح ان بداية سوق البصرة الشهير بالمربد ترجع الى هذه الحقبة المبكرة في العصر الجاهلي وكون هذا السوق يقع مستقلاً عن المدينة وسابقاً لنشاتها ومن الجائز ان السلطات الفارسية في سعيها لدرء خطر هؤلاء المقيمين من العرب وابعادهم عن الاتصال المباشر بالمناطق الماهولة قد حددت مكان السوق على طرق الصحراء بهذه الكيفية (العوامل التاريخية لنشاة وتطور المدن العربية الاسلامية – مصطفى عباس الموسوي – ص ٦٧) .

(٤) ابراهيم جدوع – مصدر سابق – ص ٥٢ .

المدن البطائحية قاعدة لاجتذاب عناصر عربية . كما خططت تلك المدن على اساس من توزيع القبائل بحسب انتماءاتها القبلية .

فالبصرة مثلاً خططت تخطيطاً خماسياً فكان لتميم الشأن الاول في تكوينها وقد صارت خمساً وفيها ضبة والرباب كما صارت عبدالقيس خمساً وقيس عيلان والانصار وطوائف من قبائل اخرى خمساً بجيلة وأسد وخثعم وبني سليم .

وما حدث بالكوفة شبيه بما حدث في البصرة وان كان قد اتبع فيها نظام الاسباع على اساس من توزيع القبائل وتكونت مجموعات من الناس يسميها المؤرخون والبلدانيون (الاسباع) . فصارت كنانة وحلفاؤها من الاحابيش وجديلة وهم بنو عمر وقيس عيلان سبعاً . وصارت قضاعة ومنها يومئذ غسان بن شيام وبجيلة وخثعم وكندة والحضارمة والازد سبعاً ومذحج وحمير وهمدان وحلفاؤهم سبعاً وتميم وسائر الرباب وهوازن سبعاً وأسد وغطفان ومحارب والنمر وضبيعة وتغلب سبعاً واياد وعل وعبدالقيس واهل هجر والحمراء سبعاً وقبيلة طي وشيبان من بكر بن وائل سبعاً .

ويلاحظ فلهاوزن في كتابة الدولة العربية « ان القبائل اليمنية المشهورة مذحج وهمدان وكندة هي التي لها السيادة والسيطرة في الكوفة » . كما يرى « ان قبائل الشمال في البصرة كالعالية وبكر بن وائل لها الصدارة في ترقي السيادة والسيطرة فيها »[٥] .

اما واسط التي انشأها الحجاج بن يوسف الثقفي (٧٥ ـ ٩٥ هـ) في حدود عام ٨٢ هـ فقد سكنتها بعض القبائل العربية وهي :

١ ـ قريش .
٢ ـ ثقيف .
٣ ـ حريش .
٤ ـ بني الاشعر .
٥ ـ كلب .
٦ ـ قضاعة[٦] .

---

(٥) مصطفى عباس الموسوي ـ مصدر سابق ـ ص ٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٢٧١ .
(٦) عبدالقادر المعاضيدي ـ واسط في العصر الاموي ـ ص ١٥٥ .

وقد شهدت البطائح طيلة عصر الخلفاء الراشدين وبداية العصر الاموي نوعاً من الاستقرار والهدوء لكن الظروف التي مرت بها الدولة العباسية وخاصة في العصر العباسي المتأخر اسهمت في تغلغل العناصر الاجنبية وتأثيرها الواضح في اضعاف القوة المركزية في بغداد مما حدا بالقبائل العربية في منطقة البطائح الى اقامة امارات عربية كالامارة المزيدية والامارة الشاهينية[٧] .

ومما تجدر الاشارة اليه ان القبائل التي هاجرت من الجزيرة العربية الى العراق اتخذت الاهوار ملجأ لها ، فترتب على هذا انقطاع الصلة بينها وبين الحياة البدوية لسنين طويلة . ولكن رغم هذا كله فان صفاتهم العربية لم تتغير .

ويمكننا توزيع القبائل العربية على الخارطة الجغرافية لمنطقة الاهوار .

فألبو محمد وهم قبيلة زبيدية تحتل اهوار دجلة من العمارة الى الكسارة على نهر المجر الكبير . كما ان بعض حمايلهم يتوطنون في هور الحويزة .

وآل ازيريج عشيرة حميرية يسكنون اهوار الميمونة وقسم آخر منهم يسكن الناصرية .

والسودان عشيرة ترجع في اصولها الى الاسود الكندي يسكنون الشمال الشرقي لمدينة العمارة على نهر الكحلاء في مقاطعة البحاثة .

والسواعد وهم عشيرة زبيدية يسكنون هور العظيم وقسم من هور الحويزة .

وبني لام القبيلة الطائية تسكن الشمال والشمال الغربي لمدينة العمارة وبصورة رئيسة في هور عودة وهور السنية .

وخفاجة تتوطن في الاقسام السفلى لنهر الغراف يشاركهم في السكن البو صالح وهم اكبر عشائر بني مالك .

اما عشائر المجرة فهم يسكنون سوق الشيوخ غرب نهر الفرات والحدود الشمالية للجبايش ، يشاركهم في السكن قبائل بني خيكان الحميرية في

---

(٧) للمزيد من المعلومات انظر :

أ ــ الامارة اليزيدية تاليف الدكتور عبدالجبار ناجي .

ب ــ امارة البطائح العربية ــ ابراهيم جدوع محسن .

الوقت نفسه تسكن قبائل الجزائر منطقتي الجبايش والمدينة في حين يسكن بنو منصور وبنو مالك منطقة القرنة .

كما تتوزع قبائل آل فتلة والخزاعل والجبور بين فرعي الفرات الحلة والهندية .

ويؤلف بنو اسد اكثر عرب الاهوار في منطقة الجبايش .

وأما الفرطوس من طي فهم يسكنون منطقة هور العبد[٨] .

وعشائر الاهوار هم ابناء العراق وان المساس بترابه الوطني هو مساس بكرامتهم لذلك لم يألوا جهداً في الدفاع عن وطنهم الغالي ، ومن يتصفح تاريخ العراق القديم والحديث يجد ان ابناء عشائر الجنوب قدموا تضحيات كثيرة خلال الحكم البويهي او السلجوقي او العثماني ، وفي حقبة الاحتلال الانكليزي كان للعشائر دور كبير في التصدي لكل طامع مستعمر ومن خلال معركة الشعيبة وثورة العشرين وثورة مايس وفي تاريخنا الحديث ابلت العشائر بأبنائها بلاء كبيراً في معركة قادسية صدام المجيدة وامّ المعارك الخالدة اذ قدمت محافظات الجنوب اعلى نسبة من شهداء الوطن . وكل هذه امثلة واقعية عن دور العشائر العراقية التي سكنت الاهوار في التصدي للعدوان الاجنبي وعلى الرغم من مرور اكثر من نصف قرن على ثورة العشرين فما زال العراقيون يرددون :

« الطوب أحسن لو مگواري » .

كما انهم ما زالوا يروون قصة بطل من عرب الاهوار عندما تصدى لأحد الجنود الانكليز واصابه « بفالته » فانغمس حديدها في جسد الجندي الغازي وبقي عودها بيد البطل العراقي مما جعله يهزج في ساحة المعركة باهزوجته المشهورة :

---

(٨) للمزيد من المعلومات عن اصول القبائل العربية التي سكنت الاهوار راجع كتابينا :

أ ـ تاريخ ميسان وعشائر العمارة ١٩٩٠ .

ب ـ عشائر الفرات الاوسط والجنوبي في الحلة والديوانية والسماوة والناصرية ١٩٩٢ .

« مَشْكُول الذِّمَه على الفاله »

« رِذْ فالتنـــا اعتازينـــا »

الاهوار مرة اخرى تملي وجودها قطعة من ارضنا العربية الشامخة على ضمير العالم .. وتفرض نفسها على التاريخ .. والتاريخ لا يصنعه المؤرخون .. هم يكتبونه فقط والذي يصنع التاريخ ويمليه هم هؤلاء البسطاء من ابناء وعرب الاهوار والذين إذهلوا العالم هذه المرة هم الاماجد الذين وقفوا خلف قائدهم المظفر « صدام حسين » ليوقفوا الكواكب في افلاكها ويجذبوا الشمس بسواعدهم الفتية ويجبلوا من خيوطها ورمادها المتألق غد العراق الجديد الذي بدأ في الاهوار .

الاهوار

والاهوار ثانية

وثالثة الاهوار

بين البردي والقصب المدبب كالحراب

تخرج جنية محلولة الشعر نافخة في النار

قد يسأل طفل عربي ضاقت عيناه بالاسرار

قد يسأل شيخ

وصبي أرهقه الصمت أمام الأسوار

قد يسأل : ما الأهوار

[الاهوار .. قرى الجنوب العراقي الشامخ]

« قرية مثل كل القرى

تستفيء بما ورثت .. وبما أورثت

في أزقّتها وقفت بابل .. وتهادت

مواكب فرسانها

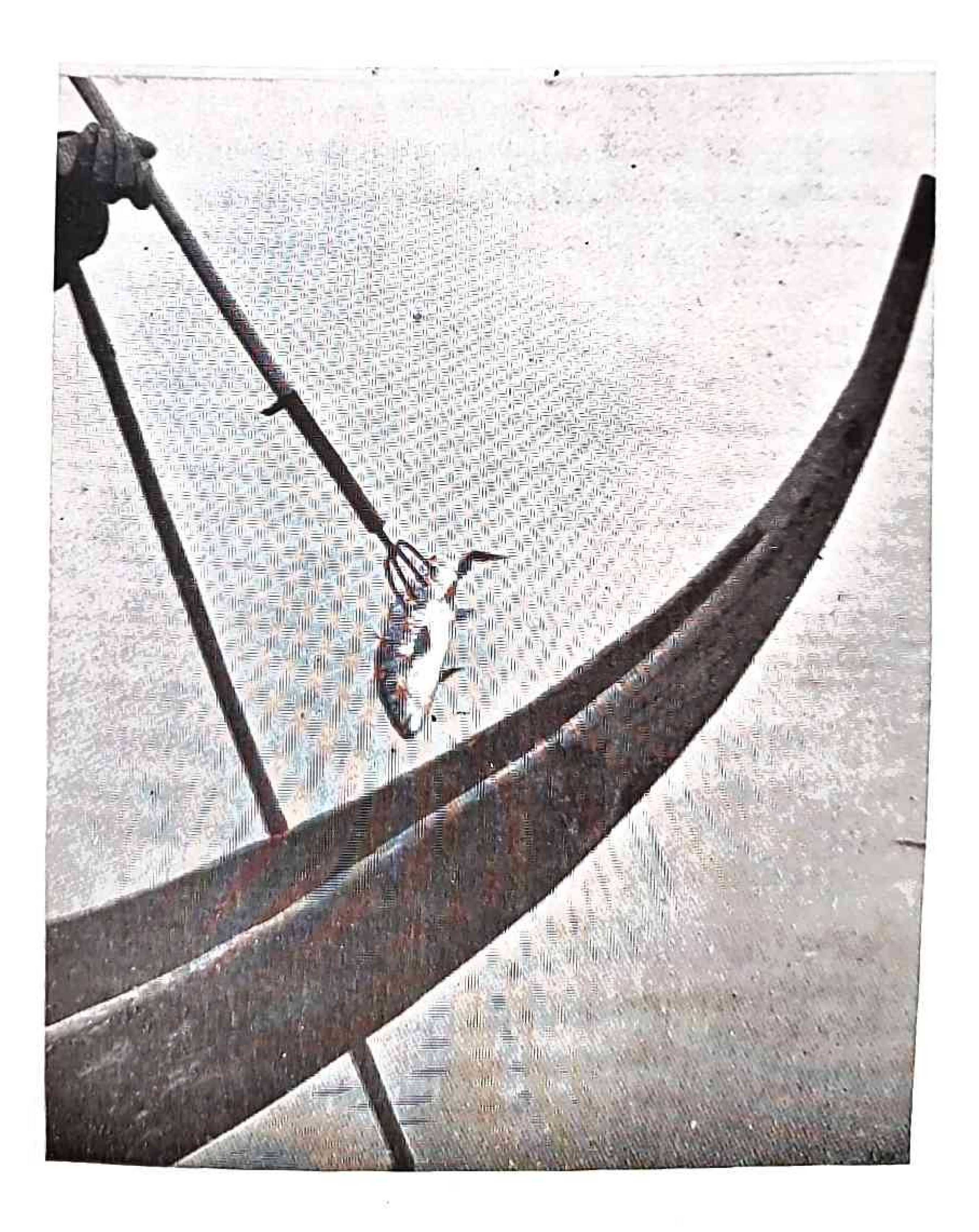
قرية حل فيها الفرات

ونامت على طرف من قميص اميرتها دجلة

قرية ..

كان شاعرها السومري يغنّي لعشاقها

يستضيف بساتينها ويخطّ ملاحمه فوق اوراقها



قرية .. كان ملّاحها البابلي يبارك شطآنها
يقف الماء بين يديه وتمنحه الشمس ألوانها
(حميد سعيد)

الاهوار قرى عربية تعبق بالشموخ وتزخر بالكبرياء .. رجالها في ملابسهم العربية الفضفاضة : العقال والكوفية والرداء الطويل (الدشداشة) ونساؤها بملابسهم المحتشمة الوقور : الثوب الطويل الاكمام والذيل الذي يصل الى القدمين والعباءة التي تلفها اثناء العمل حول وسطها .

قرى عربية يعيش ابناؤها على القيم الخلاقة التي تعتمد الشهامة والنبل والفروسية تحمي الجار وتذود عن العرض والارض وتستضيف وتجير الغرباء ، تختزن في جوهرها الانسان عطاء ونبلًا وصموداً وكبرياء ايماناً وعقيدة .. قد

يدخر الواحد منهم ، قوته وماله على قلته ليزور قبل غروب عمره مراقد الائمة على بعد المزار ومشقة السفر !!

بسطاء في شمم .. يتناخون لكل مكرمة ..

تمتد المرأة الى جوار الرجل في حقول الشلب والذرة وترفرف فوق رؤوسهما طيور الأهوار المميزة : الخضيري ، ام سكة ، دجاج الماء : طير الغرنوق والغاق والنعاق وطائر البجع يمتدان في الحقول عطاء دافقاً في منطقة من اخصب بلاد الله ثراء ما بين ثروة نباتية وحيوانية وزراعية فضلًا عن مساحات شاسعة من البحيرات التي تتقافز فيها اسماك مختلفة الانواع متباينة الاشكال ، تلك التي يتفنن عرب الاهوار باصطيادها لعل اجملها استعمال الفالة التي تتطلب مهارة فائقة في استعمالها ويعد استخدامها نوعاً من الفروسية .

الاهوار مجموعات من القرى المتناثرة فوق سطح الجزر العائمة فوق مياه دجلة تلتهب غضباً في وجه الغاصبين والطامعين .. يتنقل اهلها عبر الممرات المائية بوساطة المشاحيف وهي قوارب نحيلة مصنوعة من الخشب ومطلية بالقار .

وتبقى الاهوار ككل مكان تأريخي تكتنفه الاساطير كان للاهوار نصيب منها . « ولسعة المنطقة وامتدادها ولكثافة البردي والقصب وتعذر التوغل في بعض جهاتها انطلق الخيال يعقد اساطير مجنحة فهذه المناطق المجهولة تضم تلالًا تحوي كنوزاً وثروات طائلة من الذهب والفضة والمجوهرات التي لا تقدر بثمن وانها محصنة ومحفوظة في مكان يقال له (حفيظ) لأن الجن تحرسها وأكبر دليل على صدق هذه الروايات النيران التي تشتعل ليلًا وان الكثير من الاشخاص الذين حاولوا الذهاب اليها اصيبوا بالجنون او العمى والبعض منهم قد مات وقد اصبحت هذه الاسطورة وكأنها حقيقة تروي جيلًا بعد جيل[٩] .

---

(٩) آفاق عربية ـ ٤ نيسان ١٩٨٥ ـ ص ١ ـ ١٠ .

الفهرست



وزارة الثقافة والاعلام

دار الشؤون الثقافية العامة

الغلاف : عبدالكريم سيفو

السعر ٢٥٠

بغداد ـ ١٩٩٣

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة